جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

القيم المشتركة في الأديان الكتابية وأثرها في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

دراسة تحليلية تقويمية

إعداد

آلاف علي الخوار

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2024م/1445هـ

© 2024م. آلاف علي الخوار. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استعرضت الرسالة المقدمة من الطالبة آلاف علي الخوار بتاريخ 15 مايو 2024م، ووُفِق عليها كما هو آت:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

د. أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم

مشرفاً

_____

أ.د. عز الدين معميش

مناقشاً داخلياً

_____

أ.د. حسن عبيد الطائي

مناقشاً داخلياً

_____

أ.د. يوسف الكلام

مناقشاً خارجياً

_____

تمت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

آلاف علي الخوار، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات.

يونيو 2024م.

العنوان: القيم المشتركة في الأديان الكتابية وأثرها في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

المشرف: د. أبوبكر محمد أحمد محمد إبراهيم

هناك قيم إنسانية عديدة ومتنوعة مثل القيم الأخلاقية والاجتماعية، يهدف هذا البحث الى دراسة قيم حق الحياة والتسامح والتعارف في الأديان الكتابية وانعكاساتها في كتابة الوثائق العالمية المؤسسة لحوار الحضارات، من خلال إبراز النصوص المقدسة لكل قيمة بين الأديان والوثائق الدولية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، ومبادرة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي 1998م، ومقترح رئيس الحكومة الإسبانية 2004م، ومخرجات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان 2022م، ووثيقة الأخوة الإنسانية 2019م. وتكمن أهمية هذا البحث في سعيه إلى تحليل الوثائق الأممية الخاصة بحوار الحضارات من منظور القيم المشتركة بين الأديان، بسبب مكانة الدين في تشكيل التصورات والقناعات والسلوكيات، وأن عدم احترامها يشعل الصراعات بين الشعوب، وفي المقابل فإن احترامها يعزز من ثقافة العيش المشترك وإثراء التنوع وحرية الرأي والمعتقد، ويهدف البحث الى تحرير دلالات القيم المشتركة بين الأديان الإبراهيمية، والتعرف على مكانتها في تعزيز ثقافات الحوار بين الشعوب المختلفة، وإبراز مركزية المرجعيات الدينية في رسم تشريعات السلم وقيم الحوار الحضاري. واقتضت الدراسة اتباع المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي، حيث يُعمل المنهج التحليلي في دراسة الوثائق الإقليمية والدولية المشار إليها أعلاه، لوصف وتحليل ما تتضمنه من مفاهيم وقيم وسياسات واستراتيجيات للحوار بين الحضارات، وتُتبِع –الباحثة– ذلك

كله باستقراء قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف، من مظانها الدينية الكتابية تقييماً لأثرها في تلك الوثائق.

ويجيب البحث عن سؤالين هما: ما الأصول الدينية المؤسسة لحماية قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف في الأديان الكتابية؟، وكيف عالجت الوثائق الأممية والإقليمية المؤسسية لحوار الحضارات والأديان تلك القيم ذاتها، قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف؟

وقد انتهت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي شمل القيم الثلاث، وحافظ عليها بنصوصه الدينية، وشهد تاريخ المسلمين بتطبيقهم لهذه القيم، وأوصت بتفعيل الحوار الفعال ودعوة المؤسسات الدينية والسلطات الحكومية بنشر خطاب التعايش السلمي وتنشئة الأجيال الجديدة في المراحل الدراسية المتقدمة على ثقافة التعايش السلمي واحترام الآخر.

كلمات مفتاحية: حق الحياة، التسامح، التعارف، الوثائق الدولية، علمنة القيم، حوار الحضارات.

ABSTRACT

Common values in scriptural religions and their impact on international documents establishing the dialogue of civilizations

This research aims to study the values of the right to live, tolerance, and acquaintance in scriptural religions and their implications in international conventions establishing the dialogue of civilizations, by highlighting the sacred texts for each value and comparing them between religions and international documents such as the Universal Declaration of Human Rights 1948, the initiative of former Iranian President Mohammad Khatami 1998, the proposal of the president of the government of Spain 2004, the outcomes of the Interfaith Shared Values Forum 2022 and the human fraternity document 2019. The importance of this research lies in its attempt to analyze the international documents on the dialogue of civilizations from the perspective of common values between religions, because of the place of religion in shaping perceptions, convictions, and behaviors, and that not respecting them ignites conflicts between nations, and in return, respecting them enhances the culture of coexistence and enriches diversity and freedom of opinion and belief.

The research aims to redact the connotations of common values between scriptural religions, identify the importance of their values in promoting dialogue culture between different nations, and highlight the centrality of religious references in shaping peace legislation and the values of civilizational dialogue.

The study required following the content analysis approach and the inductive approach, where the content analysis approach is used in studying the regional and international documents referred to above, to describe and analyze the concepts, values, policies, and strategies they contain for dialogue between civilizations. The researcher follows all of this by extrapolating the values: the right to live, tolerance and acquaintance, with their scriptural religious meanings, in order to evaluate their impact on those documents.

The research answers two questions: What are the religious principles established to protect the values: the right to live, tolerance, and acquaintance in the scriptural religions? And how did the international and regional institutional documents

for the dialogue of civilizations and religions address those same values, the values: the right to live, tolerance, and acquaintance?

The study has concluded several important results, the most important of which are: that Islam is the only religion that encompasses the three values, and has preserved them through its religious texts, and the history of Muslims witnessed their application of these values. It recommended activating effective dialogue and inviting religious institutions and government authorities to promote the discourse of peaceful coexistence and to educate the new generations in early educational stages on the culture of peaceful living and respect for others.

Keywords:

The right to life, tolerance, acquaintance, international documents, secularization of values, dialogue of civilizations.

شكر وتقدير

أقدم جزيل الشكر والتقدير الى الدكتور

أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم

لقبوله الإشراف على هذا البحث

ومنحني من وقته الثمين

ومن بحر معلوماته وخبراته الواسعة

ما شكّل إضافة كبيرة للعمل البحثي

كما أتقدم بالشكر الى أساتيذ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

شكراً جزيلاً

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي وإخوتي الذين لم يبخلوا علي يوماً بشيء

أقول لهم: أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة

ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي

الباحثة

فهرس المحتويات

شكر وتقدير .....ز

الإهداء ..... ح

الفصل الأول: الإطار التمهيدي **1**

أولاً: فكرة البحث:.....1

ثانياً: أهمية البحث: 2

ثالثاً: أهداف البحث:.....2

رابعاً: إشكاليّة البحث وأسئلته:.....2

خامساً: منهج البحث: 3

سادساً: حدود البحث: 4

سابعاً: الدراسات السابقة: 4

ثامناً: مصطلحات ذات صلة بالبحث:.....9

تعريف القيمة: 9

تعريف الحق:..... 11

تعريف المشترك:..... 13

تعريف الوثيقة:..... 14

تعريف التسامح: 14

تعريف القبول: 16

تعريف التعارف: 17

تعريف الحوار: 18

تاسعاً: خطة البحث: 19

الفصل الثاني: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للحق في الحياة ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري 21

تمهيد: 21

المبحث الأول: الحق في الحياة في الأديان الكتابية 23

تمهيد لمفهوم حق الحياة: 23

المطلب الأول: الحق في البقاء ومنع القتل: 25

المطلب الثاني: الإجهاض والحق في الحياة قبل الولادة: 36

تعريف الإجهاض: 36

المطلب الثالث: حق الحياة والجهاد: 45

المطلب الرابع: تشريعات من الأديان الكتابية تسلب الحق في الحياة: 47

المبحث الثاني: مبادئ الحق في الحياة في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات 48

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الانسان: 49

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م: 55

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م: 56

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان ووثيقة الأخوة الإنسانية: 57

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات الحق في الحياة بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم 59

المطلب الأول: استنتاجات حق الحياة في المرجعيات الدينية: 59

المطلب الثاني: علمنة قيمة حق الحياة: 60

الفصل الثالث: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتسامح ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري 62

تمهيد 62

المبحث الأول: قيم التسامح في الديانات السماوية: 62

المطلب الأول: قبول الآخر 62

المطلب الثاني: العفو والصفح 69

مجتمعات عديمة التسامح: 74

المطلب الأول: انعدام التسامح الفكري 74

المطلب الثاني: انعدام التسامح الديني..... 76

المطلب الثالث: انعدام التسامح العرقي..... 77

المبحث الثاني: مبادئ قيم التسامح في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات..... 79

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م: 80

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م: 82

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م. 85

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان ووثيقة الأخوة الإنسانية: 85

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التسامح بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم..... 87

المطلب الأول: استنتاجات قيم التسامح في المرجعيات الدينية..... 87

المطلب الثاني: علمنة قيم التسامح..... 90

الفصل الرابع: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتعارف ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري 92

تمهيد 92

المبحث الأول: قيمة التعارف في الأديان الكتابية 93

المبحث الثاني: مبادئ قيم التعارف في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات 103

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:..... 103

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م: 105

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م. 108

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان ووثيقة الأخوة الإنسانية: 108

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التعارف بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم 109

المطلب الأول: استنتاجات قيم التعارف في المرجعيات الدينية 110

المطلب الثاني: علمنة قيم التعارف 112

الخاتمة 115

قائمة المراجع والمصادر 118

المراجع باللغة العربية..... 118

المراجع باللغات الأجنبية..... 121

مراجع شبكة الانترنت..... 122

الفصل الأول

الإطار التمهيدي

أولاً: فكرة البحث:

يتناول البحث القيم الإنسانية المشتركة بين أتباع الأديان الكتابية، وهي من الموضوعات الشائكة في وقتنا الحالي لكونها تطغى عليها النظرية الحتمية لصدام الحضارات والتنافس على الثروات، وقد نتج عن ذلك الصراع الكثير من المآسي البشرية بصفة عامة وعلى أتباع المعتقدات على نحو أخص. اقتضى هذا الواقع من بعض علماء الأديان والفلاسفة التنويرين، أمثال (جون لوك) و(فولتير)[1]، الدعوة إلى تحكيم العقل والاحتكام إلى الحوار فهو أساس دعوة الأديان ومادة السلوك الحضاري. والتاريخ الإسلامي له أثر بارز في ظاهرة التعايش السلمي والتعددية الدينية، التي طورت وعالجت جوانب مهمة من قضايا حقوق الإنسان والحريات[2]، وفي الآونة الأخيرة من ثمار مثل تلك الدعوات انتظام الملتقيات والمؤتمرات[3] التي تبحث عن أرضية مشتركة بين الأديان على الرغم من اختلافاتها، والدعوة إلى ضرورة بلورة رؤية حضارية لترسيخ قيم العيش المشترك والعدالة والمساواة والحرية والسلام، وتحويل الخلافات الواقعة بين الشعوب وأهل الحضارات واتباع الأديان إلى تعاون وتضامن وتفاهم.

تمخضت عن تلك الجهود ومساعي تقنينها مؤسسياً العديد من الوثائق إقليمياً ودولياً، بهدف بلورة الرؤى والأفكار وطرح المشاريع والمبادرات، على أمل أن يتحقق شيء من التفاهم الحضاري

---

[1] الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م، ص105.

[2] الحق القديم، نصر حامد أبو زيد وآخرون، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2000م ص13.

[3] منها حوار الحضارات، وملتقى القيم المشتركة بين أتباع الديانات2022/5/11م، الرياض – المملكة العربية السعودية.

تأسيساً على قيم الأديان، وقامت الدول العظمى بعولمة مجموعة من القيم في إطار فضفاض يعرف بحقوق الإنسان لفرض وصايتها على الشعوب واستخدامها كأداة لحكم العالم الجديد[1].

ثانياً: أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى تحليل الوثائق الأممية الخاصة بحوار الحضارات وتحالفها من منظور القيم المشتركة بين الأديان، باعتبارها محاولات للتعريف بما لقيم الدين من مكانة في تشكيل التصورات والقناعات والسلوكيات، وأن عدم احترامها يذكي الصراعات بين الأمم والشعوب بحجج وجودية، وأن عدم احترامها يعزز من ثقافة العيش المشترك على أساس من مبادئ التنوع وحرية الاعتقاد.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. تحرير دلالات القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان الكتابية في سياق طروحات الحوار بين الأديان، والحوار بين الحضارات وتحالفها.
2. التعرف على مكانة قيم الأديان الكتابية في خلق ثقافات للحوار بين الشعوب من حضارات مختلفة.
3. إبراز مركزية المرجعيات الدينية في رسم تشريعات السلم وقيم الحوار الحضاري.

رابعاً: إشكاليّة البحث وأسئلته:

إن إشكالية الدراسة مركّبة من أبعاد فكرية ودينية وأخلاقية، حيث إنها تتناول الكيفية التي تم التعبير بها عن القيم المشتركة بين أصحاب الديانات الكتابية في الوثائق الدولية، وتبحث في الأسس الفلسفية والدينية والأخلاقية لتلك القيم المشتركة، وذلك بغرض تحليل انعكاساتها على

[1] المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة، كاميليا حلمي محمد، الطبعة الأولى 2020م، ص6.

الخطاب الديني لأتباع الأديان الكتابية واتجاهات دارسي الأديان والمختصين منهم في البحث والتأليف في مجال الحوار الديني، وهنا يثار السؤالان التاليان:

السؤال الرئيس الأول: ما الأصول الدينية المؤسسة لحماية قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف في الأديان الكتابية؟

السؤال الرئيس الثاني: كيف عالجت الوثائق الأممية والإقليمية المؤسسية لحوار الحضارات والأديان تلك القيم ذاتها، قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف؟

ويندرج تحت هذين السؤالين الرئيسين التساؤلات الفرعية الآتية:

1. على أي أساس مرجعي تم تحديد تلك القيم على أنها قيم إنسانية مشتركة في تلك الوثائق؟
2. إلى أي مدى تمثل تلك القيم المشتركة بين الأديان الكتابية محوراً لأسس التعايش السلمي بين الشعوب؟
3. ما دور الأديان في تعزيز ثقافة حوار الحضارات الضامنة لحماية قيم: حق الحياة، والتسامح؟

خامساً: منهج البحث:

جمعت الباحثة بين المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي، حيث يُعمل المنهج التحليلي في دراسة الوثائق الإقليمية والدولية المشار إليها أعلاه، لوصف وتحليل ما تتضمنه من مفاهيم وقيم وسياسات واستراتيجيات للحوار بين الحضارات، وتُتبع –الباحثة– ذلك كله باستقراء قيم: الحياة، والتسامح، والتعارف، من مظانها الدينية الكتابية تقييماً لأثرها على تلك الوثائق.

سادساً: حدود البحث:

تتمثل حدود البحث الحالي موضوعياً في تحليل القيم الإنسانية المشتركة من منظور الأديان الكتابية تحديداً، بالتركيز على ثلاث قيم وهي كالآتي (الحياة– التسامح – التعارف).

أما مضموناً فإن الدراسة تُعنى بتحليل الوثائق الآتي ذكرها:

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في سنة 1948م[1].
- مبادرة رئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م[2].
- مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م[3].
- هذا بالإضافة إلى دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي في الرياض– المملكة العربية السعودية[4]، ووثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام والعيش المشترك الصدارة عن دولة الإمارات العربية المتحدة[5].

سابعاً: الدراسات السابقة:

قال الكاتب سعدون المشهداني في كتابه (أثر النص المقدس في منظومة القيم) أن النصوص المقدسة لها فاعليتها في تكوين سلوك الأفراد بحكم إيمانهم والتزامهم بذلك النص، وباجتماع المؤمنين به تتجلّى ظاهرة مميزة تُحسَب على النص نفسه، وجيلاً بعد جيل يتشكل

---

[1] THE UNIVERSAL DECLARATION OF HUMANRIGHTS, 45th anniversary 1948-1993 PREFACE BY FEDERICO MAYOR DIRECTOR-GENERAL OF UNESCO, published in 1994 by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 7 Place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP.

[2] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013

[3] Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.

[4] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.

[5] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة

المجتمع استناداً الى تلك النصوص فتصبح ملازمة له وتنتج الظواهر والكتل الاجتماعية، وبغض النظر عن صحة النص من خطأه فإن تأثيره على أتباعه يحدد لهم سلوكيات في أمور شتّى كقيمة الحياة، والقتل، والتسامح مع المختلفين، والتعارف والتمازج[1].

ومن الدراسات المشابهة دراسة سومية حجاج (المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية) التي تحدثت فيها عن التسامح والتعارف، حيث جاء فيها أن موضوع التسامح يهدف الى الانفكاك من العُقَد القديمة والمفاهيم الخاطئة على جميع الجوانب، والتطلع في الوقت نفسه الى مستقبل مشرق، ينعم فيه الناس باختلاف أديانهم بالأمن والاطمئنان[2].

وقال جمال عبد الجواد عن المفهوم الخاطئ للتسامح: "يقوم على ادعاء ضمني بالتفوق على الآخر، فهو بالتالي – نوع من التسامح، لا يخلو من عنصرية كامنة، يمكن لها أن تتفجر وتطفو الى السطح في أي لحظة إذا توافرت الظروف المناسبة"[3]، وإن التسامح المبني على الاحترام وعلى المساواة هو المطلوب.

وفي موضوع التعارف لدى سومية حجاج قالت إن الصراع بين أتباع الأديان ناتج عن الاختلاف في الدين واختلاف الناس ومعتقداتهم وهذا التنوع بين البشر وتعدده يدعو الى ضرورة الحوار والتعايش والتسامح والتعارف، "إن العيش في ظل عالم أو مجتمع يتسم بالتعدد والتنوع، يحتاج الى وجود قدر وافر من التسامح بين الفئات الاجتماعية المختلفة، أي من القدرة على الحوار

---

[1] أثر النص المقدس في منظومة القيم، سعدون المشهداني، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع،2010م، ص13

[2] المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية: دراسة مقارنة، سومية حجاج، دار الكتب العلمية – بيروت، 2017م، ط1، ص357.

[3] المرجع السابق، ص358.

والتفاهم وقبول الآخر برغم اختلافه، ولإنجاح الحوار مع الآخر لابد من التعارف على مستوى العقائد والأفكار والسلوك الإنساني لإيجاد القواسم المشتركة بين بني البشر[1].

من كتاب (تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟) للدكتور/ طه عبد الرحمن[2] يتضح أن الكاتب يرى أن هناك علاقتين بين القيم، الأولى تسمى (القيم المتصادفة) وهي قيمة إنسانية قائمة على التعاون المثمر الذي يحفظ للأمم حقوقها ووجودها وإمكانية الجميع الاستفادة منها. والأخرى تسمى (القيم المتصادمة) وهي قيمة تسعى إلى الاستعباد واللاإنسانية ولا ترى أنه من حق الآخر طرح رأيه، وتطالب بإزالة المختلف عنها من الوجود، وذلك من خلال تدميره وسلب حريته وخصوصيته، ويخلص الكاتب إلى أن القيم المتصادفة تحتاج إلى وسط متسامح يقبل بالتنوع والاختلاف والتعدد كجزء طبيعي في هذه الحياة، وتمتع المسلمون في زمن ما قبل الحداثة بقبول التعدد ووجود أرضية للتسامح مع غير المسلمين. وقد عالج الكتاب الموضوعات التالية: خصائص التعددية القيمية، ظروف التعددية القيمية، طرق التعامل مع التصادم بين القيم، تقويم التعددية القيمية[3].

أما الباحث هانس كينج[4] فإنه تطرق في كتابه: "لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟"[5] إلى الحاجة الماسة لوجود أساس مشترك للتعاون والحوار بين جميع البشر من مختلف الثقافات والفلسفات والأديان من أجل المصلحة العامة على هذه الأرض، إلى جانب الاهتمام بمقاييس

---

[1] المرجع السابق، ص362.

[2] تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟، طه عبد الرحمن، الطبعة الأولى 2001م.

[3] تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟، طه عبد الرحمن، الطبعة الأولى 2001م، ص13-38.

[4] قس رومي كاثوليكي ومؤلف، من أشهر علماء اللاهوت المعروفين بانتقادهم للكنيسة قديماً وحديثاً، وكان رئيس جمعية مؤسسة الأخلاق العالمية التي أنشأها. (موقع الكتروني en.wikipedia.org/wiki/hans_kung)

[5] لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، هانس كينج، ترجمة: ثابت عيد، العدد 1999، الطبعة الأولى 2015م.

أخلاقية مشتركة بينهم، ولا تستطيع أي جماعة البقاء إلا إذا تم الاتفاق على نظام قانوني، وأن يكون بالإجماع على قبول بعض القواعد الأساسية من أجل التعايش والترابط بين الجماعات المختلفة، لأن الشعوب والأمم لها مصالح وأولويات ومنافسة تختلف فيما بينها بصورة متجددة، ولكن لابد من الوصول إلى توازن عادل للمصالحة من خلال التفاهم والحوار، أوما يسمى بفكرة المقاييس العالمية للأخلاق والتي يبرر الكاتب بأنه لا يسعى إلى فرض أيدلوجية جديدة تحل محل الأخلاقيات الخاصة بالأديان، وإنما جاءت داعمة للربط بين الموارد الدينية الفلسفية المشتركة بين البشرية جمعاء ويجب أن لا تفرض بالقانون، وإنما توعية الناس على أهمية وجودها. ونرى ذلك جلياً من خلال محاور الكتاب التالية: المقاييس العالمية للأخلاق: هل هي دين عالمي جديد؟، الإسلام التبشيري، الإسلام هل هو دين عدواني؟، الغلو الديني.

من جهة أخرى يمثل إعلان القيم الإنسانية المشتركة الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي "ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان"[1] عام 2022م أحد الأمثلة البارزة على مساعي الربط بين القيم المشتركة بين الأديان والحوار بين الحضارات، وقد انتظم بحضور القيادات البارزة وكبار الشخصيات والمنظمات والمؤسسات المؤثرة للأديان العالمية، حيث تناول فيه المشاركون التطورات العالمية والأحداث والكوارث المأساوية في العالم بسبب الصراعات بين الأديان والطوائف، وأكدوا ضرورية تفعيل الآليات الدولية لحل النزاعات والذي يضع كافة الجهات المعنية في العالم أمام المسؤولية الدينية والإنسانية، والمساهمة بفاعلية لتصحيح المسار الإنساني في عصرنا الحالي، وتحريره من الماديات والاستعلاء، والارتقاء بالإنسان إلى احترام الجميع مع التضامن والتسامح واعمار الأرض. ومن المبادئ الدينية المشتركة واستناداً إلى المواثيق الدولية التي تسعى إلى تحقيق

[1] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.

القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان أثمرت جهود المشاركين بوضع توصيات مهمة اتفق عليها المشاركون وهي كالتالي:

1. ضرورة التأكيد على المركزية التي يحتلها الدين في كل حضارة، وذلك نظراً لأهميته في "إلهامه الروحي للمؤمنين به" و "صياغة أفكار المجتمعات البشرية"[1].
2. التأكيد على أنه يجب ألّا يخلط بين الممارسات الخاطئة لبعض اتباع الأديان والدين (أياً كان نوعها وهدفها وحجمها)، وأنه لمن الظلم لمن يعتنقون تلك الأديان تحميلهم نتائج تلك الممارسات المعزولة[2].
3. يجب فهم الخصوصية الدينية لكل دين أو مذهب والتعامل معها، لكونها تمثل التنوع البشري وذلك لحكمة الخالق سبحانه في التنوع، "ولكل قناعته وإيمانه الذي يدين الله به، ويوصله للآخرين بحكمة الحوار"[3].
4. يعد الحوار الفعال سلوك حضاري، اعتمدته الأديان وذلك بوصفه الطريق الأفضل لحل النزاعات، وترشيد الخلافات، والتخلص من المخاوف والأفكار الخاطئة، والتعامل مع الأحكام المسبقة ومعالجتها[4].
5. اعتبار أن التعايش ضرورة حياتية حيث إنها تقوم على الإقرار بوحدة الاسرة البشرية وما يتطلبه معناها المجرد من الأهمية التي يحظى بها الإخاء الإنساني بأثر ملموس[5].

---

[1] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م، ص3.

[2] المرجع السابق، ص3.

[3] المرجع السابق، ص3.

[4] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م، ص3.

[5] المرجع السابق، ص3.

ثامناً: مصطلحات ذات صلة بالبحث:

لابد من تحرير المفاهيم والمعاني للألفاظ المناط استخدامها لمنع اللبس أو سوء الفهم، فشرح المصطلحات من وجهة نظر علمية والاتفاق على دلالاتها لا يسمح بدخول شوائب فكرية والالتفاف على المقصود وتشويه المعنى.

تعريف القيمة:

- القيمة لغة:

القيمة بالكَسْرِ واحِدَةُ: القِيَمِ، وَهُوَ ثَمَنُ الشَّيْءِ. بالتَّقْوِيمِ، وأَصلُه الوَاوُ؛ لأَنَّه {يَقُومُ} مَقَامَ الشَّيءِ. ويُقَالُ: مَالَهُ {قِيمَةٌ} إِذَا لَمْ يَدُمْ عَلَى شَيْءٍ وَلم يَثْبُتْ، وَهُوَ مَجَازٌ. وقَوَّمْتُ السِّلْعَةَ {تَقْوِيمًا}. وأهلُ مَكَّةَ يَقُولُونَ: استَقَمْتُه كَذَا فِي النُّسَخ، والصَّوابُ: استَقَمْتُها {ثَمَّنْتُه} صَوابُه ثَمَّنْتُها أَي: قَدَّرْتُها. وَمِنْه حَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ: " إِذَا اسْتَقَمْتَ بنَقْدٍ فبِعْتَ بنَقْدٍ فَلَا بَأْسَ بِهِ "[1]. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: {اسْتَقَمتُ} بِمَعْنَى: قَوَّمتُ، وَهَذَا كَلامُ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: {اسْتَقَمْتُ المَتَاعَ}، أَي قَوَّمْتُه، وهُمَا بِمَعْنًى. وَفِي الحَدِيثِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: " لَو {قَوَّمْتَ} لَنَا؟ فَقَالَ: اللَّهُ هُوَ المُقَوِّمُ " أَيْ: لَوْ سَعَّرْتَ لَنَا، وهُوَ مِنْ {قِيمَةِ الشَّيءِ أَي: حَدَّدْتَ لنا} قِيمَتَها.

و{اسْتَقَامَ} الأمرُ: (اعْتَدَلَ)، وَهَذَا قد تَقَدَّمَ فَهُوَ تَكْرَارٌ، وَهُوَ مُطاوِعُ {أَقَامَه وقَوَّمَه}. وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فَهُوَ قَوِيمٌ ومُسْتَقِيمٌ. يُقَال: رُمْحٌ {قَوِيمٌ} وقَوَامٌ قَوِيمٌ، أَي: مُسْتَقِيمٌ[2].

- القيم اصطلاحا:

للقيم تعريفات عدة في الاصطلاح، منها:

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس (33 ,312)، الراوي :أبو سعيد الخدري، المحدث :الهيثمي، المصدر :مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم4/102.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت، ج33، ص312.

(ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان)[1] ، ومن مرادفات القيمة: (الخلق، الثمن، والسعر، والمثل)، كما عرفت القيم بأنها: عبارة عن (مفهوم أو تصور ظاهر أو ضمني يميز فرداً أو يختص بجماعة، لما هو مرغوب فيه وجوبا مما يؤثر في انتقاء أساليب العمل ووسائله وغايته)[2].

وقد عرفها الكاتب محمد بشير اصطلاحياً بأنها: "ما قوّم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان"[3]، فلا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيراً، ويكون الحق نتيجة للقيمة المحققة.

فمن التعريفات السابقة يمكن تفسير القيم بأنها المبادئ والمعايير التي توجه سلوك الأفراد والمجتمعات فيما يتعلق بما هو صحيح وخاطئ، وما هو مقبول وغير مقبول، وتفرق بين الحسن والقبيح، وبين المكارم والمكاره، وتشمل مفهوم العدالة، والأخلاق، والأدب، والمسؤولية الاجتماعية، والسلوكيات المجتمعية، التي يتوافق عليها أفراد المجتمع بشكل عام، ويمكن أن تكون معنوية مثل احترام الكبير، أو مادية مثل الطقوس والهدايا.

فهذه الصفات يتم تقديرها عن طريق المجتمعات، وتُقَيّم تبعاً لما تحققه من منفعة أو تدفعه من أذى، فالقول إن شيئاً ذو قيمة عالية، يعني الاعتراف بأن ذلك الشيء يحقق خيراً أو يدفع شراً، باختصار التفكير في القيم هو التفكير فيما هو خير للأشخاص، وانعدام القيم هو هلاك المجتمعات.

---

[1] الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، مادة قيم . م 34 ص 132.

[2] جابر عبد الحميد وسليمان الخضري، دراسات نفسية في الشخصية العربية، ص 228.

[3] القيم الحضارية: مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية، د. محمد بشير محمد البشير، مجلة دراسات دعوية – السودان، العدد 15، 2008م، ص4.

واستناداً إلى ما سبق، يمكن استنباط أن القيم هي عبارة عن مبادئ وتصورات توضيحية لتوجيه السلوك العام بمُقتضى المنفعة، وهي التي تحدد حقوق الأفراد وتعمل على توجيه استجاباتهم وردود أفعالهم نحو هذه الأحداث.

تعريف الحق:

- الحق لغة:

أَيْ غَيْرَ بَاطِلٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِغَيْرِهِ أَيْ أَنَّهُ أكَد بِهِ مَعْنَى ألزَم طاعتَك الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ لَبَّيْكَ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ حَقًّا فتؤَكِّد بِهِ وتُكرّرُه لِزِيَادَةِ التأْكيد، وتَعَبُّداً مَفْعُولٌ لَهُ وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: لَحَقٌّ أَنَّهُ ذَاهِبٌ بِإِضَافَةِ حَقٍّ إِلَى أَنَّهُ كَأَنَّهُ قَالَ: لَيقِينُ ذَاكَ أمرُك.

وحَقَّ الأَمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقوقاً: صَارَ حَقّاً وثَبت؛ قَالَ الأَزهري: مَعْنَاهُ وجَب يَجِب وجُوباً، وحَقَّ عَلَيْهِ القولُ وأحْقَقْتُه أَنَا. وَفِي التَّنْزِيلِ: قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ؛ أَيْ ثَبَتَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُمُ الجنُّ وَالشَّيَاطِينُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ؛ أَيْ وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ، وَكَذَلِكَ: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ؛ وحَقَّه يَحُقُّه حَقًّا وأَحَقَّه، كِلَاهُمَا: أَثْبَتَهُ وَصَارَ عنده حقّاً لا يشكُّ فِيهِ. وأحقَّه: صَيَّرَهُ حَقًّا. وحقَّه وحَقَّقه: صدَّقه؛ وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: صدَّق قائلَه. وحقَّق الرجلُ إِذَا قَالَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ الحقُّ كَقَوْلِكَ صدَّق. وَيُقَالُ: أحقَقْت الأَمر إِحْقَاقًا إِذَا أَحْكَمْتَهُ وصَحَّحته[1].

- الحق اصطلاحاً:

تتعدد وتختلف الآراء حول التعريف الاصطلاحي للحق، عرفه باحث بأنه: (يعني السلطات التي يمكن لصاحبها أن يمارسها بالنسبة لهذه القيمة ومحل الحق، فالقيمة هي التي تثبت لصاحب

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور)، ج 10، ص49.

الحق)[1]، وباحث آخر عرفه بأنه: (سلطة إرادية للفرد ، أو هو مصلحة يحميها القانون أو هو انتماء (اختصاص) إلى شخص يحميه القانون)[2]، فيمكن القول أن الحق هو مصلحة تخص الفرد له كامل الحرية في استعمال هذه المصلحة، كما لديه كامل الحرية في الدفاع عن هذه المصلحة بالقوة أو القانون، كما يوجب على غيره الإقرار بهذه المصلحة والتصرف بما يوجب لصاحب المصلحة الحرية في استعمال مصلحته سواء أكانت عامة أو خاصة.

كما تم تعريف الحق بأنه: (مصلحة تثبت لإنسان، أو لشخص طبيعي أو اعتباري، أو لجهة أخرى، والمصلحة هي المنفعة، ولا يُعد الحق حقا إلا إذا قرره الشرع والدين، أو القانون، أو النظام، أو التشريع، أو العرف)[3].

أما عند فقهاء القانون، فقد عرف أحدهم (الحقوق) جمع (حق) بأنه: (مجموعة الامتيازات التي يتمتع بها الأفراد والتي تضمنها بصورة أو بأخرى السلطات العامة أو تلك التي تستحق الضمان)[4]، يمكن باختصار قول إن الحق هو مصلحة خاصة أو عامة يحترمها المجتمع ويحميها القانون.

والتعريف الديني للحق في عرف الفقهاء والمتكلمين: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة، ويطلق في الشريعة الإسلامية على عدة معان منها: المُوجِد للشيء وهو الله سبحانه وتعالى، والمُوجَد بحسب اقتضاء الحكمة ولهذا يقال: فِعلُ الله تعالى كله حق، والاعتقاد للشيء

---

[1] مبادئ القانون، عبد المنعم فرج الصدة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، طبعة1، 1973م، ص277.

[2] حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات العامة، ماهر صبري كاظم، مطبعة الكتاب، بغداد، ط2، 2010، ص 11.

[3] الإسلام وحقوق الإنسان، القطب محمد القطب طبلية، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1984، ص23.

[4] المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، ساسي سالم الحاج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط3، 2004م، ص16.

المطابق، كقول إن الموت حق والنار حق، وللفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، قولنا: فعلك حق، وقولك حق[1].

فيمكن استنتاج أن الحق هو مفهوم فلسفي معنوي قانوني، يشير الى سلطة الفرد وامكانيته المشروعة قانوناً بالقيام بشيء محدد، أو امتلاك شيء معين. أو حق على الفرد القيام به، مثل الواجبات والمسؤوليات والتعويضات. وتتواجد الحقوق كجزء أساسيّ من النظم الدينية، والعرفية، والقانونية، والأخلاقية، في أي مجتمع. ولابد من اعتراف المجتمع، أو السلطات القائمة بمراقبة وتنفيذ القانون، بالحقوق المصاحبة للأفراد، والمجتمعات، والكيانات.

تعريف المشترك:

- المُشتَرَك لغة:

مُشترَك: اسم المفعول من اشتَرَك، عمل مشترك: عمل يساهم فيه العديد من الناس، حياة مشتركة: جماعيَّة، عمليّات مشتركة: عمليّات حربيّة تشترك فيها عدّة جيوش[2]. وتعني الشيء المتبادل بين مجموعة أشخاص، مثل الاحترام المشترك أو المتبادل، وأيضاً مثل الصداقة والاتفاقيات، أو مثل "الصندوق المشترك" بين مجموعة متداولين اشتركوا في أسهم وغيرها.

- المشترك اصطلاحاً:

[1] معنى (الحق) في الشريعة الإسلامية، إسلام ويب، (موقع الكتروني https://www.islamweb.net/ar/fatwa/20972/)

[2] المعاني، تعريف ومعنى مشترَك في معجم المعاني الجامع، (موقع الكتروني https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B4%D8%AA%D8%B1%D9%83/).

مصطلح "مُشتَرَك" يعني المتبادلة عموماً، ويعبر عن الجوانب المتقاسمة أو المتبادلة بين كيانين أو أكثر، مثل الاحترام، والأهداف، والتفاهم، والتعاون، والمصالح، ونقيضها التباين والاختلاف. ويمكن الاشتراك في القيم والحقوق، وتكون نقاطاً أو عناصر التشارك[1].

تعريف الوثيقة:

- الوثيقة لغة:

وثق: (وَثِقَ) بِهِ يَثِقُ بِكَسْرِ الثَّاءِ فِيهِمَا (ثِقَةً) إذَا ائْتَمَنَهُ. وَ (الْمِيثَاقُ) الْعَهْدُ وَالْجَمْعُ (الْمَوَاثِيقُ) وَ (الْمَيَاثِقُ) وَ (الْمَيَاثِيقُ). وَ (الْمَوْثِقُ) الْمِيثَاقُ. وَ (الْمُوَاثَقَةُ) الْمُعَاهَدَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى –: {وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ} [المائدة: ٧]، وَ (أَوْثَقَهُ) فِي (الْوَثَاقُ) شَدَّهُ، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى –: {فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد: ٤]. وَ (الْوِثَاقُ) بِكَسْرِ الْوَاوِ لُغَةٌ فِيهِ. وَ (الْوَثِيقُ) الشَّيْءُ الْمُحْكَمُ وَالْجَمْعُ (وِثَاقٌ) بِالْكَسْرِ. وَقَدْ (وَثُقَ) مِنْ بَابِ ظَرُفَ أَيْ صَارَ (وَثِيقًا). وَيُقَالُ: أَخَذَ (بِالْوَثِيقَةِ) فِي أَمْرِهِ أَيْ بِالثِّقَةِ[2].

- الوثيقة اصطلاحاً:

(الوثيقة هي مرجعية لحقوق الإنسان، وتقتضي أن تُنشئ حقاً لم يكن موجوداً، أو أن تصون حقاً قائماً، وألّا تُميّز بين الناس في الحقوق)[3]، وظهرت الوثائق والمخطوطات التاريخية منذ بداية التاريخ المسجل ومع اكتشاف الأشكال الأولى للكتابة.

تعريف التسامح:

- التسامح لغة:

---

[1] المرجع السابق.

[2] مختار الصحاح، زين الدين الرازي، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999م، ص332.

[3] الحق القديم، نصر حامد أبو زيد وآخرون، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2000م ص71–73.

التسامح من الجذر (سمح) ونجد أن العرب لم يستخدموا مصطلح التسامح نفسه ولكن وظفوا جذره لعدة معانٍ مثل:

1. **الكرم والجود:** وهما أكثر المعاني التي استخدم جذر التسامح فيها، ويقال: (السماحة) الْجُود وَالْكَرم والسهولة. (السَّمْح) يُقَال فلَان سمح جواد سخي[1].
2. **الطاعة والانقياد:** وَيُقَال أسمحت نَفسه ذلت وأطاعت وانقادت[2].
3. **التساهل والمساهلة:** (الْمُسَامَحَةُ) الْمُسَاهَلَةُ وَ (تَسَامَحُوا) تَسَاهَلُوا[3].
4. **العفو والصفح:** (سامحه) بِكَذَا وَفِيه وَافقه على مَطْلُوبه وبذنبه عَفا عَنهُ وَيُقَال فِي الدُّعَاء سامحك الله[4].

- التسامح اصطلاحاً:

مصطلح التسامح أصبح من أكثر المصطلحات انتشاراً وشيوعاً بين جميع الطبقات الثقافية المجتمعية، ومع ذلك يعد من المصطلحات صعبة التعريف لخلو القرآن الكريم – الذي يعد مرجعاً للغة العربية – من لفظه وجذره، وأيضاً بسبب تشويه معنى التسامح واختلافه في أذهان المثقفين وغير المثقفين واكتسابه مدلولات متنوعة، اكسبته معانٍ غير مقصودة. قال الجرجاني أحد علماء الاصطلاح معرفاً السماحة: "هي بذل ما لا يجب تفضلاً"[5]. وقال المناوي: "المسامحة ترك ما لا

---

[1] المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص447.

[2] المرجع السابق.

[3] مختار الصحاح، زين الدين الرازي، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999م ص153.

[4] المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ج1 ص447.

[5] التسامح في الشريعة الإسلامية، د. عمر حبتور الدرعي، الطبعة الأولى 2020م، ص29. نقلا عن: الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني 816 هـ، معجم التعريفات، ص181.

يجب تنزهاً"[1]. والتسامح لا يعني ترك المخطئ يسترسل في خطأه والاستسلام له، ولكن العفو عن حق بوجه حسن ودفع العداوة بالتي هي أحسن.

ويجد الباحث أن التسامح بمفهومه الحديث يقصد به قبول اختلاف الآخرين وإن تغايرت آراءهم، ويشير (إعلان المبادئ بشأن التسامح) بأنه احترام وقبول وتقدير التنوع الغني للثقافات وللمميزات الإنسانية[2]، وهو سماح ومسامحة حرية التفكير والمعتقد والرأي، وتقبل اختلاف طباع وأجناس وأعراق بني البشر، وانعدام التسامح يعني التسلط على هويات الآخرين والتعصب لرأي واحد والعنف ضد من يخالف الرأي السائد، فينشأ مجتمع محروم من التفكير والتعبير، بل وتحدد عقوبات لكل من يتجرأ بالتفكير خارج المسموح.

ونستنتج أن مصطلح التسامح لم يستخدم في أوساط المؤلفين الفقهيين والإسلاميين، لكن وجدت ألفاظ أخرى تدل على معناه، نستخلص من التعريفات السابقة أن تعريف التسامح هو: قبول الاختلاف والتساهل مع الآخر وحسن الخلق والإحسان إليه.

تعريف القبول:

- القبول لغة:

(الْقبُول) الرِّضَا بالشَّيْء وميل النَّفس إِلَيْهِ وَالْحسن والشارة وريح الصِّبَا[3]. القبول هو الرضا عن طيب خاطر بشيء معين والاستجابة له.

- القبول اصطلاحا:

---

[1] التسامح في الشريعة الإسلامية، د. عمر حبتور الدرعي، الطبعة الأولى 2020م، ص29. نقلا عن: المناوي؛ التوقيف على مهمات التعريفات، ص294.

[2] الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م، ص105.

[3] المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ج2 ص713.

هو الموافقة على وجود شيء دون إكراه وهو ضد الرفض، مثل امتحان القبول، وقبول انضمام فرد الى جماعة بعد مطابقة شروطها[1].

ويلخص الباحث قبول الآخر بأنه الموافقة على العيش معه دون مقاومة، ويرادفه عدم إقصاء الآخر أو إلغاءه، ويرتبط القبول بفهم اختلاف الآخر في عقيدته ولغته ولونه وعرقه، والتنوع الثري لثقافات وعادات الآخرين، وقدرة الفرد على التعايش بفعالية مع هذا التمايز الاجتماعي. يُظهر القبول تواجد فهم واستعداد للتعايش مع التنوع الفكري والثقافي، دون مشاحنة أو إقصاء أو تمييز[2].

تعريف التعارف:

- التعارف لغة:

من الجذر (عَرَفَ) بمعنى عَلِمَ، ضد نَكَرَ، و(التَّعْرِيفُ) هو الإعْلامُ بِالشَّيْءِ ونقيض التنكير، والتَّعارُفُ: مَعْرِفَةُ النَّاسِ بَعْضهم لِبَعْضٍ، عكس التناكر، وأَصْلُ الكَلِمَةِ مِن المَعْرِفَةِ، وهي: السُّكونُ والطُّمَأْنِينةُ، ومنه سُمِّيَ المَعْلومُ مَعْروفاً؛ لأنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ إليه ولا تُنْكِرُهُ، وكُلُّ ما تَطْمَئِنُّ إليه النَّفْسُ فهو مَعْروفٌ. والتَّعْرِيفُ: الإعْلامُ بِالشَّيْءِ وتَوْضِيحُهُ، وضِدُّ المَعْرُوفِ: المَجْهُولُ والنَّكِرَةُ. والتَّعارُفُ أيضًا: طَلَبُ المَعْرِفَةِ، فيُقال: تعارَفَ إلى فُلانٍ: إذا جَعَلَهُ يعرِفُهُ، والمَعارِفُ: الوُجوه؛ لأنَّ الأشخاصَ يُعرَفون بِها[3]، وتَعارفُوا: عَرَفَ بَعْضُهُمْ بعْضاً وَمِنْه[4].

- التعارف اصطلاحاً:

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج3 ص1772.

[2] التسامح في الشريعة الإسلامية، د. عمر حبتور الدرعي، الطبعة الأولى 2020م، ص31.

[3] الجمهرة، الموسوعة الشاملة لمفردات المحتوى الإسلامي، (موقع الكتروني https://islamic-content.com/dictionary/word/2955).

[4] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص 837.

هو أن يعرف ويعلم الناس بعضهم البعض، تشابهاتهم واختلافاتهم، أديانهم وعقائدهم، أفكارهم وآراءهم، أنسابهم وأعراقهم، ثقافاتهم وحضاراتهم، بحيث يكون ذلك سبباً للاعتراف ثم التواصل ثم الألفة ثم الوئام، ولا يكون سبباً للتناكر والتنافر والتناحر بعصبية[1].

فيأتي الاعتراف أولاً بإنسانية واستقلالية الآخر وتقبل خصوصيته، ثم التعرف عليه، وضبط المفاهيم الخاطئة بشأنه، يليه إعطاءه والأخذ منه، وتعليمه والتعلم منه، فينشأ التآصر والتلاحم المجتمعي وانبات بذرة التهجين الثقافي، وتحسين التلاقح الفكري، تليها نهضة الأمة وإثمارها، وايقاد شعلة حضارية جديدة.

تعريف الحوار:

- الحوار لغة:

حِوار: جمع (حوارات)، مصدر حاورَ وهو: حديث يجري بين شخصين أو أكثر (جرى حوار مفتوح بين الرئيس ومندوبي الصحف)، حِوار أدبيّ (تباحث بين مخاطبين لا يفهم بعضُهم بعضا)، حِوار هادئ (خالٍ من الانفعال)[2].

فهو حديث وكلام في موضوع ما بين طرفين أو أكثر، وليس جدلاً يولد الغبن والمشاحنات والمخاصمات، غرضه الوصول الى فهم مشترك.

- الحوار اصطلاحاً:

هو تفاعل خطابيّ بين شخصين أو أكثر، مع التعقل في الخطاب بالمنطق والحجة، فيسمع المستمع من المتكلم ويفهمه ثم يجيبه بالموافقة أو الرفض حسب ما اقتضى العقل، ويمكن تلخيص

---

[1] ملتقى الخطباء، تعريف التعارف (منقول بتصرف)، (موقع الكتروني https://khutabaa.com/ar/scientific_discovery/).

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج1، عالم الكتب، ط1، 2008م، ص579.

المصطلح بأنه تواصل بين اثنين أو أكثر يشاركان فكريهما ويبادلان آراءهما بهدف تقليص شقّة الخلاف بينهم[1].

تاسعاً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربع فصول ولكل فصل ثلاث مباحث، ومن ضمنها فصل تمهيدي وخاتمة على النحو الآتي:

الفصل الأول: الإطار التمهيدي.

يتضمن معالجة موسعة للنقاط السبعة الأولى المذكورة أعلاه.

الفصل الثاني: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للحق في الحياة ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

- المبحث الأول: الحق في الحياة في الأديان الكتابية
- المبحث الثاني: مبادئ الحق في الحياة في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات
- المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات الحق في الحياة بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

الفصل الثالث: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتسامح ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

- المبحث الأول: قيم التسامح في الأديان الكتابية
- المبحث الثاني: مبادئ قيم التسامح في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

[1] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م، ص20

- المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التسامح بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

الفصل الرابع: العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتعارف ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

- المبحث الأول: قيم التعارف في الأديان الكتابية
- المبحث الثاني: مبادئ قيم التعارف في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات
- المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التعارف بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

الخاتمة:

تشتمل على تلخيص لأهم نتائج الدراسة والتوصيات

الفصل الثاني

العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للحق في الحياة ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

تمهيد:

لجميع الديانات حول العالم مصادر للتعاليم الإيمانية الخاصة بها، فيمكن أن تكون كتباً مثل الديانات ذات الأصل السماوي (اليهودية والمسيحية والإسلام)، أو أن تكون تعاليم شفهية وتعاليم تنتقل من جيل الى آخر، مثل الديانات الوضعية، وتُقدس هذه المصادر من قبل معتنقيها، وتُحترم نصوصها احتراماً وثيقاً.

تتمثل أهمية النصوص المقدسة في الديانات السماوية في كونها تقدم الهداية والإرشاد الروحي لأتباع الديانات، وتحدد السلوك الديني وممارسات العبادة من خلال التشريعات والتوجيهات في الحياة اليومية، فيتعلم المؤمنون طرق التواصل مع الإله وشعائر عبادته، على نحو ينعكس على معاملات الناس مع بعضهم البعض، كما تقدم الأديان لأتباعها التربية الروحية والتعاليم الأخلاقية والآداب العامة، وتشجع على التعايش السلمي والتعاون. وتوفر لهم هوية تاريخية وثقافية تُشعر أتباعها بالوحدة والانتماء وتشد أزر بعضهم ببعض، فيجتمعون في العبادات الروحية والعادات الاجتماعية، وتزيد مخالطتهم ومشاركتهم ببعضهم، مما يعزز إحساس الوحدة. وتحفز النصوص الدينية أتباعها وتلهمهم للقيام بالأعمال الصالحة والابتعاد عن الظلم والإجرام، كما توفر لهم بعض الأجوبة عن الأسئلة الوجودية مثل الهدف من خلق الإنسان، والحكمة وراء المعاناة والابتلاءات، وأوقات العسر واليسر. ومن هذه النصوص يتعلمون طرق تبليغ دينهم لغيرهم، وكيفية معاملتهم مع

المختلفين، وتشرح لهم آداب الدعوة للدين، وتشريع الحرب والسلم. عموماً، تكون النصوص المقدسة ومصادر التشريع أساساً لقيام الدين، كما تعتبر مرشداً وموجهاً للسلوكيات الدينية والدنيوية، وتكون مرجعاً للاقتياد به في الحياة اليومية.

لليهودية مصدران للتشريع هما: النصوص المقدسة (التوراة والتلمود)[1] والتعاليم الدينية والأخلاقية[2]، أما المسيحية فتمتلك مصادر عديدة للتشريع هي: الكتاب المقدس (الإنجيل)[3]، تعاليم عيسى –عليه السلام– [4]، التقليد المسيحي[5]، الكنيسة[6]، الكتب التاريخية والدينية[7]، وللإسلام مصدران رئيسيان للتشريع هما: القرآن الكريم[8]، والسنة النبوية الشريفة[9].

---

[1] يعتبران المصدر الأساسي للقيم والأخلاق اليهودية. تعتبر التوراة الكتاب الأساسي لليهود، والتلمود مجموعة من التعليقات والتفسيرات للتوراة ويحتوي على نصوص توجه القيم اليهودية.
(https://www.gov.il/ar/departments/general/jewishreligion).

[2] لليهودية تاريخ طويل من العلماء والفلاسفة الدينيين الذين قدموا شروحات مختلفة للقيم والأخلاق، وهي موجودة في كتب علمائهم وملاحمهم (https://www.alhesn.net/play/9810).

[3] تستمد المسيحية قيمها من الإنجيل الذي يعد المصدر الرئيسي للقيم، والذي ينقسم الى العهد الجديد والعهد القديم، اللذان يحتويان على تعاليم عيسى بن مريم وتجارب الحواريين وأوائل المسيحين مثل الرسول بولس.

[4] تمثل المصدر الثاني للقيم في المسيحية، وهي التعاليم المسجلة والمدونة له.

[5] مع مرور الزمن وتطور اللاهوت المسيحي، ظهرت تفسيرات مختلفة للإنجيل والتعاليم الأساسية في المسيحية، تشرح هذه التفسيرات الجديدة للأفراد كيفية تطبيقها في حياتهم، وفي العقيدة المسيحية قام الروح القدس بإيصال التعاليم الجديدة الى الرسل من خلاله، (https://coptic-treasures.com/chapter/007-catechism-church-coptic-alarthwthksyh_part_1_mqdmat-fy-alkatyshy-).

[6] هنالك طوائف مختلفة للمسيحية لكل منها شرح مختلف للقيم وكيفية تطبيقها في حياة الأفراد اليومية وتوجيه أفراد الطائفة نحو ما يُتوقع منهم أن يلتزموا به، كألوهية مريم العذراء عند الكاثوليك، التي تختلف فيها بقية الطوائف.

[7] كتب علماء المسيحيين واللاهوتيون والزعماء المسيحيون كتباً كان لها أثر في القيم المسيحية.

[8] ويعتبر كلام الله كما نزل على نبيه ﷺ ويحتوي على قيم عديدة وتوجيهات متنوعة في الأخلاق والمعاملات.

[9] وتعتبر التعاليم والأفعال وما أقر به النبي ﷺ في حياته، وتكون مرافقة للقرآن وأحياناً شارحة له، وتقدم قيماً وتوجيهات إضافية.

المبحث الأول: الحق في الحياة في الأديان الكتابية

تمهيد لمفهوم حق الحياة:

الحياة هي نقيض الموت، والحياة هي حق كل فرد في الوجود والحفاظ على سلامة جسده واحترام كينونته، وغياب هذا الحق يعني إباحة سفك الدماء، كما كان يحصل في العصور القديمة، فلم يتمتع كل أفراد المجتمع بهذا الحق، مما يؤدي الى خلل في المنظومة الاجتماعية، يولد بدوره الأحقاد والضغائن التي أشعلت بدورها فتائل الحروب.

فهذا الحق فطري لصيق بشخصية الإنسان، أي يعرفه كل فرد مسبقاً ويتقرر له من قبل ولادته، ولا يحق لفرد آخر سلبه هذا الحق، ولا يحق له سلب نفسه من هذا الحق، باعتبار أن الحياة هبة من الله ولا يجوز المساس بها، لهذا تعتبر من أهم الحقوق، وأكثرها تشديداً عليها، ولا تتراخى المجتمعات عن الدفاع عنها، لأن الحياة هي أغلى ما يملك الإنسان.

وتقول د. سحر جرجيس أن حق الحياة نسبي وليس مطلقاً، بحيث ترد عليه بعض الاستثناءات تتعلق بنوع الجرم الذي يرتكبه الشخص والظرف المتعلق به[1]، مثل الجرائم التي تكون عقوبتها الإعدام أو الرجم، أو دفاع شخص عن نفسه، وسنذكر في هذا البحث بعض التشريعات التي تسقط حق الحياة من الأفراد.

اتفقت جميع الشرائع السماوية على مبدأ تكريم الانسان وحفظ كرامته وحقه في الحياة، ونجد هذا المبدأ في أولى الحضارات المعروفة لدينا مثل حضارة بلاد الرافدين والآشوريين والحضارة المصرية، ونجد حق الحياة أيضاً في الديانات الوضعية. أما الأديان السماوية فهي في الأساس

---

[1] الحق في الحياة: دراسة تحليلية مقارنة، د. سحر محمد نجيب جرجيس، مجلة الرافدين للحقوق – العراق، المجلد 17، عدد 61، 2019م، ص 146.

من مُشرع واحد، لذلك اتسمت بشيء من التشابه والتشارك فيما بين قيمها، ولكن تطاول أيادي الناسخين والمترجمين والكتاب أدّى الى تحريف وتحوير الرسالتين السماويتين اليهودية والمسيحية، وهذا ليس من باب الافتراء إنما من أبحاث واستنتاجات علماء اليهودية والمسيحية مثل البروفيسور (آرثر جون آربري)[1]، لكن لم تختلف هذه الأديان الثلاثة على ضرورة حفظ حياة الانسان ووجوب حفظ الانسان لحياته وعدم تعريضها للخطر، وتحريم سلب هذا الحق من صاحبه بالقتل أو التعذيب، بل ووضع تشريعات وعقوبات لمن يتعدى هذا الحق، لأن الحياة أمانة من الله ولا يجوز التصرف بها خارج ما شرّع به، فكما وضعت عقوبات لمن يسلب هذا الحق من انسان آخر، فقد وضعت عقوبات تسمح بقتل من ارتكب جرائم معينة، منا ما هو عادل مثل عقوبة القاتل، ومنها ما هو متشدد كما في التوراة مثل عقوبة ضرب الوالدين ولعنهما وحكم السرقة وعقوبة من عمل يوم السبت طلباً للرزق.

سوف نقيس قيمة الحق في الحياة بين الأديان السماوية بما وضعته من تشريعات لحفظ النفس وعقوبات لمن ارتكب جرائم تستحق القتل في نظر الكتب الثلاثة.

وهنالك عدة عوامل وممارسات تسلب الأفراد حقهم في الحياة مثل: القتل غير المبرر أو بغير حق، الإجهاض الذي يمنع الطفل حتى من أخذ نفسه الأول ويقتله بطريقة لا إنسانية، وحق الحياة في حالة الحروب، إجازة قتل أو إعدام المجرمين عقاباً جائزاً لجرائم محددة. مع تطور

[1] بروفيسور (آرثر جون آربري) مستشرق بريطاني. و(رينهولد نيبور) في كتابه "تاريخ المسيحيين في ضوء المعرفة الحديثة". و(سي جيه كادو) في كتاب "حياة يسوع". و(جيه آر دروميلو) مسيحي متدّين وبروفيسور بريطاني، قال إن رجال الكنيسة على علم بالتغييرات التي دخلت على العهدين ولكنهم يتحججون بأن ما تم إدخاله لا يؤثر على الجوهر الديني.

اللاهوت في الأديان السماوية، واختلاف تفاسير وتعاليم رجال الدين، نتج اختلاف كبير بين الأديان السماوية في تشريع الحقوق والعقوبات لابد من تفنيدها وتحليلها.

المطلب الأول: الحق في البقاء ومنع القتل:

ويعني حق الفرد في مواصلة العيش بكرامة، واحترام الآخرين لوجوده وبقاءه وحفظه لنفسه، ولا تختلف الأديان الوضعية والنظم الأيدولوجية في هذا الحق، وعززت الأديان السماوية هذا الحق وحثّت أصحابها على الحفاظ عليه، وشددت بعقوباتها لمن ينتهك هذا الحق ويتعدّى عليه، فهو يكاد يكون أول الوصايا في كل الأديان.

ففي الديانة اليهودية، وهي أولى الديانات السماوية، وتحتوي على الكثير من الشرائع التي تغطي جوانب كثيرة من الحياة وتهذبها، أتت مؤكدةً على حق الانسان في الحياة كما تضمنت في الوصايا العشر، وأثبتت كرامة الإنسان بأن الله خلق الانسان في صورته كما في سفر التكوين: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ.27. فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ"[1]. لهذا تعلم التوراة قدسية الحياة ووجوب المحافظة عليها وعدم التعرض لها، إلا في الحالات التي شُرعت في التوراة، ولم تتوقف عند حياته فقط، بل تؤكد على حفظ كرامة الانسان والنهي عن السخرية به، واحترامه ولو كان أدنى منزلة أو طبقة اجتماعية، فتقول التوراة: "الْمُسْتَهْزِئُ بِالْفَقِيرِ يُعَيِّرُ خَالِقَهُ. الْفَرْحَانُ بِبَلِيَّةٍ لاَ يَتَبَرَّأُ"[2].

---

[1] سفر التكوين 26:1، 27:1.

[2] سفر الأمثال 17: 5.

وأكدت التوراة أيضاً على أهمية الحق في الحياة في سفر الخروج: "اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ"[1]. وينهى عن القتل فيه: "لاَ تَقْتُلْ"[2]، وهذا النص يترجم من العبرية بمعنى لا ترتكب جريمة القتل لكنه لا يمنع قتل من استحق الإعدام أو في حالات الدفاع عن النفس، ويحث العهد القديم على حفظ الحياة ومنع القتل: "أَنْقِذِ الْمُنْقَادِينَ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْمَمْدُودِينَ لِلْقَتْلِ. لاَ تَمْتَنِعْ"[3]، من هذه الأدلة يبرز مفهوم قيمة الحق في الحياة وتكريم الانسان في الديانة اليهودية، والتشديد على تحريم القتل والنهي عنه، بل وإنقاذ المنقادين الى الموت ليتمتعوا بحقهم في الحياة.

وشرعت التوراة عقوبة الإعدام لمن يتعدى حق حياة فرد ما، وهو العقاب الأقسى لمن أخذ أغلى ما عند الإنسان بغير وجه حق، تقول التوراة: "مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا، وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ"[4]، وفي موضع آخر: "مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا"[5]، هذا النص يؤكد على أن جزاء القاتل أن يُقتل، دون عذر أو مجاملة، وشددت على ضرورة إيقاع العقوبة بالقاتل وألا تقبل منه فدية أبداً بسبب بشاعة جرمه: "30 كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْساً فَعَلى فَمِ شُهُودٍ يُقْتَلُ القَاتِلُ. وَشَاهِدٌ وَاحِدٌ لا يَشْهَدْ عَلى نَفْسٍ لِلمَوْتِ. 31 وَلا تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ القَاتِلِ المُذْنِبِ لِلمَوْتِ بَل إِنَّهُ يُقْتَلُ"[6]، وهذا هو العقاب العادل –في نظر التوراة– لمن أخذ حياة فرد أن تُخذ حياته دون قبول فدية.

---

[1] سفر الخروج 23: 7.

[2] سفر الخروج 20: 13.

[3] سفر الأمثال 24: 11.

[4] سفر اللاويين 24: 21.

[5] سفر الخروج 21: 12.

[6] سفر العدد 35: 31.

وهنالك جرائم وتعدّيات أخرى أُجيزت فيها عقوبة الإعدام مثل السرقة: "وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلًا"[1]، وعقوبة ضرب الوالدين: "وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا"[2]، وأيضاً جزاء شتم الوالدين: "وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا"[3]، وعقوبة المجدف: "وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا"[4]، والجدف على الله هو الكفر به أو بنعمته، وقتل من عمل يوم السبت: "32 وَلَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلًا يَحْتَطِبُ حَطَبًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ. 33 فَقَدَّمَهُ الَّذِينَ وَجَدُوهُ يَحْتَطِبُ حَطَبًا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ. 34 فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ لأَنَّهُ لَمْ يُعْلَنْ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. 35 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتْلًا يُقْتَلُ الرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الْجَمَاعَةِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ"[5]، لأن يوم السبت يوم راحة لليهود فقد حُرم عليهم العمل فيه.

ولكن يلاحظ القارئ لهذه العقوبات التي تستوجب القتل، بأن فيها نوعا من التشدد والغلظة، ولا تستجيب لمنطق الجزاء من جنس العمل، بل اتسمت بصفات اليهود الغليظة المتشددة، كما أن التوراة الأصلية ضاعت وفقدت عدة مرات نتيجة ما تعرض له اليهود من غزو وتدمير وسبي، وعند إعادة كتابة التوراة طالتها أيادي التحريف، أي أنها لم تعد الشريعة التي أنزلها الله بها على موسى –عليه السلام–، بل أفرغوها من الشرع الرباني وتلاعبوا بها، وأضافوا تشريعات وثنية من الأمم التي خالطوها. ويؤكد علماء التوراة هذا التحريف، بل وشرعوا بكتابة كتاب جديد يسمى التلمود الذي اعتبروه شروحاً للتوراة بل واعتبره بعضهم أعلى منزلة من التوراة، وما يشير تاريخياً لهذا

---

[1] سفر الخروج 21: 16.

[2] سفر الخروج 21:15.

[3] سفر الخروج 21:17.

[4] سفر اللاويين 24: 16.

[5] سفر العدد 15: 32–35.

التحريف هو أن أقدم مخطوطة موجودة اليوم للتوراة تعود للقرن الثاني قبل الميلاد (مخطوطات البحر الميت) أي بعد عهد موسى –عليه السلام– بقرابة الألف عام.

استند اليهود في كتابتهم للتلمود الى (المشنا والجمارا)[1]، وتعتبر شريعة التلمود كهنوتية عنصرية[2]، وذلك لأنها أعطت كل الحقوق والاحكام الأخلاقية لليهود فقط، فالقيم الحسنة مثل: "فَمَتَى بِعْتَ صَاحِبَكَ مَبِيعًا، أَوِ اشْتَرَيْتَ مِنْ يَدِ صَاحِبِكَ، فَلاَ يَغْبِنْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ"[3], وفي نفس السفر: "وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ"[4]، وغيرها من الأخلاقيات التوراتية تم احتكارها لتُطبق على اليهود فقط، ويبقى السؤال هل تُطبق هذه المعايير الأخلاقية لغير اليهودي أيضاً؟ أكد كثير من الباحثين أن حسن المعاملة والخلق الطيب لليهودي فقط وليست للأغيار، أما غير اليهودي فلا يعتبر صاحب حق وإن كان مسالماً في بلد يحكمه اليهود، فقد جاء في التلمود بأن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، ولكن أرواح باقي البشر هي أرواح شيطانية[5]، وجاء أيضاً أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أميٌّ إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلاهية، وأن الفرق بين الانسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب[6]، وقال الحاخام أباربانيل: "الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما

---

[1] المشنا والجمارا: هي روايات شفوية تناقلها الحاخامات ومعها نصوص التوراة المحرفة، وهي الآن شريعة اليهود العليا ويقول اليهود من يقرأ التوراة من دون المشنا والجمارا فليس له إله، (http://saaid.org/bahoth/160.htm).

[2] مبدأ تكريم الانسان في ضوء أحكام التوراة والانجيل والقرآن، فتحي جوهر رمزي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، العدد (2/15)، المجلد الثامن، ص6.

[3] سفر اللاويين 25: 14.

[4] سفر اللاويين 25: 35.

[5] نصر الله: الكنز المرصود، ص70.

[6] نصر الله: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص73.

باقي الشعوب مثلهم كمثل الحمير"[1]، هذا انتهاك جسيم لمبدأ الكرامة الإنسانية، بدونها تصبح حياة الأغيار رخيصة، وتؤدي الى التهاون في سفك دمائهم، ويُمنع اليهود من أن يحيّوا غير اليهود إلا إذا كانوا يخشون ضررهم، وإجازة استعمال النفاق مع غير اليهود، ومنع الصدقة إلا على اليهود[2].

فمن هذه التشريعات من التلمود وغيرها مثل إباحة اغتصاب الفتاة غير اليهودية إذا ما بلغت الثلاث سنوات، ووهب الله لليهود حق السيطرة والتصرف بدماء جميع الشعوب وما ملكت، بل واعتبار سفك الدم غير اليهودي قرباناً للرب، تتجلى عنصرية الفكر ومناداته باحتقار الشعوب الأخرى واحتقار حقوقهم، ومن ضمن هذه الحقوق حق الحياة الذي سُلب من غير اليهودي، وتصبح قيمة حياة غير اليهودي رخيصة يمكن سلبها قرباناً للرب، بل إعطاء حق لليهودي في قتل وتسخير واستعباد الأغيار من الشعوب الأخرى من أجل المصالح اليهودية، ونجد في التوراة أحد هذه التحريفات حيث تقول: "وأمَّا مُدُنُ هؤلاءِ الأُمَمِ الّتي يُعطيها لكُمُ الرّبُّ إلهُكُم مُلْكا، فلا تُبقوا أحدا مِنها حيًّا بل تُحَلِّلونَ إبادَتَهُم"[3]، وتتحدث التوراة على لسان موسى عن إحدى المجازر: "حَلَّلنا في كُلِّ مدينةٍ قَتْلَ جميعِ الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفالِ فلم نُبْقِ باقيا"[4]، فهذه المحصلة هي انتهاك لحقوق الانسان قديماً وحديثاً وتنكر وضوحاً المساواة بين البشر بتفضيل العرق أو العنصر اليهودي وتحتكر الصفات والأخلاق الحسنة لليهودي فقط.

نلاحظ تذبذب مبادئ اليهودية بين الأخلاقيات وانعدامها، بين تطبيق المعاملات الاجتماعية بصفات حسنة على الجميع واحتكارها على اليهود فقط، وبين تكريم الإنسان وتحقير

---

[1] المرجع السابق.

[2] شلبي، أحمد: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص268.

[3] سفر التثنية 7: 1.

[4] سفر التثنية 3: 6.

الإنسان، ولكن في الغالب، استناداً الى التلمود، يكون التكريم لليهود والتحقير للأغيار، هذا التحقير الذي يصل مرحلة إباحة إراقة الدماء، مدللاً على غياب حق الحياة للشعوب التي ليست من دماء بني إسرائيل.

من جهة أخرى، جاءت رسالة المسيح عيسى –عليه السلام– متممة ومكملة لرسالة موسى –عليه السلام–، وركزت تعاليم العهد الجديد على الجانب الروحي الذي أهمله اليهود، مثل الزهد، والمساواة، والتسامح، والمحبة للجميع دون النظر في عناصرهم أو أديانهم، كما جاء في الكتاب المقدس: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. 18 فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"[1]، لهذا حارب اليهود عيسى –عليه السلام– وكفروا بما أتى به، لأنه خالف فكرتهم الباطلة بأن اليهود هم شعب الله المختار.

وتعتمد تعاليم المسيحية على أن البشرية تحتاج الى عيسى –عليه السلام– للخلاص والنجاة والحياة الأبدية، وأنه صلة وصل المخلوق بالخالق، وأن الانسان خُلق في صورة الرب تكريماً للبشر وإضافة لقداسته، وأن المسيح –عليه السلام– لم يضع شريعة دنيوية بل اهتم بالوعظ والوصية والتسامح، لأنه أراد الشريعة روحاً حيةً لا حرفاً ميتاً، وأنه أراد تجنيب هذه الشريعة ما تفرضه أحوال الزمان والمكان من تحوير، وأنه أراد احترام حرية الانسان، فلا يسوقه مكرهاً الى الخضوع للشريعة، فيحرمه جزاء عمله[2]. ولكن المتناقض في هذا الكلام هو النص السابق الذي أكد فيه المسيح –عليه السلام– مواصلة شريعة العهد القديم، بينما دعت المسيحية في العهد الجديد

[1] إنجيل متى 5: 17–18.

[2] يسوع المسيح، الاب بولس الياس، ص192–193.

الى المساواة بين المسيحيين وغير المسيحيين، وبين الأغنياء والفقراء، لهذا كان إقبال العبيد على المسيحية واسعاً، ودعت الى تحررهم ولكن صداها كان محدوداً، وتواصل التقسيم الطبقي وظلت المجتمعات المسيحية تعيش في ظل القانون الروماني الاستبدادي.

يتجلى المعنى الروحي لحق الحياة لغير المسيحي، على خلاف اليهودية، في آيات إنجيلية على لسان عيسى –عليه السلام–: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ"[1]، وتعتبر المسيحية الحياة هبة من الله، وأن الانسان مطالب بالحفاظ عليها، فلا يجوز لأحد سلب هذه الهبة من انسان آخر، وجاء أيضا: "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ"[2]، بل وحتى أنها كانت تقف ضد عقوبة الإعدام وضد الحرب: "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!"[3]، فهي ترفض الحرب والاقتتال من حيث المبدأ، ولكن شرعت الحرب فقط للدفاع عن النفس: "وَمَنْ لَيْسَ لَهُ {سيف} فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا"[4].

إن المدقق في حال المسيحية، يجد أن المسيح –عليه السلام– قد أدرك ظلم وتسلط اليهود وتشددهم وغلظتهم في الشريعة التوراتية، لهذا أراد أن يركز على الجانب الروحي الإنساني الذي كان غائباً عن اليهود، فاهتم بالوعظ كما سبق، ولكن حامت الشبهات حول ما إذا كان المسيح –عليه السلام– يقصد بذلك إلغاء شريعة موسى –عليه السلام– وكان هذا أحد مداخل تحريف الإنجيل، وأن المسيح نفسه لم يقم الحد على المرأة الزانية: "...فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا

---

[1] إنجيل متى 5: 21.

[2] سفر التكوين 9: 6

[3] مت 26: 52.

[4] إنجيل لوقا 22: 36.

سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» 11 فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!» فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا»"[1]. من هذا الموقف فسر البعض أن المسيحية لا تحمل شيئاً من الشريعة، قال ابن القيم – رحمه الله –: أجمع الدارسون على أنه ليس عند المسيحيين حدٌّ أو عقوبة على من زنى، أو لاط، أو سَكُر، وليس له عذاب في الآخرة[2]، مما أعطى الفراغ التشريعي المجال للكنيسة بالتسلط على الناس وإدخال مبادئ الكهنوتية المطلقة، لتمارس بعدها الكنيسة الاستبداد وتشن الحملات الصليبية، فالكنيسة لم تكن تدعم حقوق الانسان، ولم تنفذ شرائع التوراة والإنجيل، بل أتت بتشريعاتها الخاصة وجعلت مخالفة العامة لأوامرها كالخروج من الملة، حتى أضحت الكنيسة أعلى مكانة من الدولة وأصبح للكنيسة حق عزل أي حكومة مناهضة للكنيسة وإعفاء مواطنيها من الخضوع لسلطتها.

ولكن للشريعة المسيحية وجه آخر غير التسامح والمحبة، يكاد ينعدم فيه حق الحياة للآخرين، فالمسيح –عليه السلام– هو إله العهدين (القديم والجديد) حسب الكنيسة، وتنسب إليه جميع الأوامر الوحشية لبني إسرائيل في العهد القديم، فقد ذكر الكتاب المقدس أوامر للمسيح مثل: "فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا"[3]، فهذا أمر بقتل الأطفال والنساء المتزوجات، ومن هنا يتضح تناقض مثير للاهتمام واستفهام كبير، وبحث عن مبادئ التسامح والمحبة والرحمة المسيحية، التي تختفي تماماً وقت الحروب، ويكون الأمر الإلهي الوحيد هو قتل الجميع بصغارهم وعجائزهم وحتى حيواناتهم. وفي مثال آخر لإنكار حق الحياة،

---

[1] إنجيل يوحنا 8: 4–11.

[2] مبدأ تكريم الانسان في ضوء أحكام التوراة والانجيل والقرآن، فتحي جوهر رمزي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، العدد (2/15)، المجلد الثامن، ص6.

[3] سفر العدد 31: 17.

حكم الامرأتين الزانيتين قال: "وَتَرْجُمُهُمَا الْجَمَاعَةُ بِالْحِجَارَةِ، وَيُقَطِّعُونَهُمَا بِسُيُوفِهِمْ، وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَهُمَا وَبَنَاتِهِمَا، وَيُحْرِقُونَ بُيُوتَهُمَا بِالنَّارِ"[1]، فلم يسلم حتى أبناء وبنات الزانيتين، بل أُمر الناس بقتل ذريتيهما بدون ذكر ذنوبهم، فقط لأن أمهاتهم أذنبوا فأورثتا الذنب والعقاب لمن لا ذنب له.

فالشريعة الإنجيلية الحقيقية قد ضاعت مع الزمن وفُقد النص الإنجيليّ الأصلي ويعزى ذلك الى أن حواريي عيسى –عليه السلام– كانوا يمارسون دينهم بالخفاء خوفاً من الدولة الرومانية الوثنية، كما أن كُتّاب وناسخي الإنجيل الحديث مجهولي الهوية، وعندما تم تحويل الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية الى المسيحية تشبعت بالأفكار الوثنية، مثل ألوهية المسيح وأمه عليهما السلام، تحديداً بعد مجمع نيقية الأول، الذي رسم ملامح الإيمان المسيحي ومعالم الكاثوليكية.

بالمقابل نجد الاسلام قد سد جميع الثغرات التي تسمح بقتل نفس بريئة، فقبل نزوله ساد في جزيرة العرب مناخ من القسوة والقبلية، لدرجة أنهم كانوا يتشاءمون من البنات فيدفنونهن أحياءً خوفاً من السبي والعار، وكان المجتمع يسترخص قتل العبيد والنساء. نزل الإسلام في منتصف هذه الممارسات القاسية، محرماً إياها ومنذراً لقاتل الروح البريئة، جاء مؤكداً على شريعة موسى وعيسى عليهما السلام الأصلية، ولم يمسه التحريف الذي مس الديانتين[2]، وهو أول الأديان التي أقرت حقوق الانسان بصورة تشمل الحر والعبد، الكبير والصغير، الذكر والأنثى، الغني والفقير، المؤمن والكافر، الشريف والضعيف.

وثبّت حق الانسان وحفظه في أهم مصادر تشريعه، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"[سورة

---

[1] سفر حزقيال 23: 47.

[2] أقر بهذا المستشرق (آرثر جون آربري) الذي أكد أن القرآن لم يحرف منذ زمن الصحابة. (https://al-maktaba.org/book/31871/31335)

الإسراء – الآية 70]، وقرر أن الناس سواسية ولا يفاضل بينهم على أساس الدين أو العرق أو القبلية أو المال، وهو ما وقعتا فيه اليهودية العنصرية، والمسيحية الكهنوتية، ولكن يفاضل بينهم على أساس أعمالهم الصالحة لأنفسهم ومجتمعهم وتقربهم وتقواهم من ربهم، قال –جل جلاله– : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[سورة الحجرات – الآية 13]، فخلق الله الاختلاف بين الناس ليس للتفضيل بينهم بل للتعارف والتمازج فيما بينهم، كما جاء أيضاً في خطبة الوداع عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : "أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى"[1]، فالإسلام يرى أن البشر إخوة ولا يجوز التعدي على حقوق الغير، مسلماً كان أو غير مسلم، وهو هدم لكل مظاهر التفضيل الإثني والطبقي، ودعوة للتذكير باستواء قدر البشر في قيمتهم.

وقد تكفل الإسلام بتعزيز حق الحياة للجميع، واعتبره أغلى الحقوق التي يجب الحفاظ عليها، فحرم القتل والانتحار، وشرّع عقوبات شديدة للمعتدين على هذه التشريعات، واعتبر أن من يقتل نفساً واحدة كمن قتل البشرية جمعاء، قال تعالى: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ..." [سورة المائدة – الآية 32] وهذا دليل على قيمة حق الحياة في الإسلام، ورفعة مكانة من ينقذ حياةً من الموت، ويندد بعِظَم جريمة سلب حياة انسان بريء، وقال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ

[1] ابن حنبل – ص411.

كَانَ مَنصُورًا"[سورة الإسراء – الآية 33] وهنا تأكيد على تحريم القتل في الآيتين، والمقصود النفس المسلمة أو غير المسلمة على سواء.

شرع القرآن الكريم العقوبات على المعتدي على حق الحياة، وجعلها عقوبات دنيوية وأخروية للدلالة على سوء هذا الجرم، وجزاء القتل العمد هو الخلود في النار ولعنة الله، قال –عز وجل– : "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا"[سورة النساء – الآية 93]، ولم يحرم الإسلام قتل المؤمن فقط بل حتى غير المسلمين، قال –صلى الله عليه وسلم– : "من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد رائحة الجنة"[1]، وهذا ما تداركه الإسلام بعد التحريف العنصري في العهد القديم، فبعكس اليهودية التي أباحت قتل اليهودي، نهى الإسلام عن ذلك بل أنذر قاتل الذميّ بعدم شم رائحة الجنة، وهو كمن تتبرأ منه الجنة.

وقد حرم الإسلام الانتحار وقتل النفس، باعتبار أن الحياة أمانة من الله لا يجوز التصرف فيها بغير حق، قال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا"[سورة النساء – الآية 29]، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– : "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم خالداً فيها أبدا"[2]، ونصت الشريعة على أن عقوبة القتل العمد هي الإعدام، قال تعالى: "وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[سورة البقرة – الآية 179]، وقال –عز وجل– أيضاً: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[سورة المائدة – الآية 45]،

---

[1] صحيح النسائي، ص4763.

[2] رواه البخاري (5778)، ومسلم (109) .

تكريماً للإنسان وحفظاً لجسده وروحه، أتت هذه العقوبات التي تمنع تعدي الناس على بعضهم بسلب الحياة أو التشويه، ويكون الجزاء من جنس العمل.

الإسلام هو آخر الديانات السماوية ولكن أولها من حيث تقرير حقوق الإنسان، هذه الحقوق التي مُنحت من الله الى الخلق، وهي جزء لا يتجزأ من هبات الله على الناس، والتي تعتبر أحد نعمه، ونجد في اليهودية استباحة قتل غير اليهودي، وفي المسيحية استباحة قتل الأطفال والرضع في الغزوات، نكر الإسلام هذه الممارسات ليعمم مبدأ كرامة الإنسان على جميع البشر، وفرض تشريعات للغزوات كالنهي عن قتل الأطفال والشيوخ والنساء وغير المقاتلين، كما نهى عن وأد البنات وقتل الأطفال خوفاً من الفقر مبيناً قدسية الحياة الإنسانية.

المطلب الثاني: الإجهاض والحق في الحياة قبل الولادة:

تعريف الإجهاض:

- الإجهاض لغة:

من الفعل أجهض أي أسقط وألقى[1]، وهي الجيم والهاء والضاد أصل واحد جهض، ويأتي بمعنى الزوال: الإجهاض من مجهض، وهو زوال الشيء عن مكانه بسرعة، ويقال أجهض فلانا عن الشيء أي أزاله عن مكانه، إذا أنجيناه عنه وغلبناه، وأجهضت الناقة إذا ألقت ولدها فهي مجهض، أي إزالة المرأة جنينها سواء كان في موعد الطبيعي أم لا، يقال أجهضت المرأة جنينها سواء بفعل الفاعل أو بوسيلة[2].

- الإجهاض اصطلاحاً:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط1، ج7، ص131.

[2] الإجهاض في الفقه الإسلامي والطب المعاصر، نعمت عبد الهادي عيسى، رسالة ماجستير، جامعة وان يوزونجوييل، 2019م، ص16.

الإجهاض عند الفقهاء هو: إلقاء المرأة أو الحيوان حمله ناقص الخلق أو ناقص المدة، والإجهاض عند علماء الطب: عبارة عن خروج محتويات الحمل قبل ثمانية وعشرين أسبوعاً تحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة. وذكر الباحث السيد فودة بأنه: إنهاء حالة الحمل قبل أن يكون جنيناً قادراً على الحياة خارج الرحم، وهو إما أن يكون تلقائيا أو مفتعلاً[1].

فهو إلقاء المرأة جنينها قبل أن يتم مدة الحمل حيا أو ميتاً دون أن يعيش، وقد استبان منه بعض الخلقة كآدمي، سواء كان بفعل منها أو استعمال دواء أو غيره أو بفعل من غيرها، فحينئذ يسمى الإجهاض، لأن الجنين أُلقي من بطن أمه قبل موعده الطبيعي، فيُقال الإجهاض هو إسقاط الجنين في بطن أمه قبل والدته في وقت محدود رغبة في التخلص من الجنين لأي سبب من الأسباب وبأي طريق كان، فهو تدخل من قبل الزوج أو الزوجة أو من قبلهما معا لقطع الطريق أمام الجنين لاستكمال مراحل النمو ولتكوينه الطبيعي[2].

أصبح الإجهاض في زماننا هذا من المواضيع الشائكة، فمع انتشار الليبرالية وحركات حقوق المرأة أضحى حق الجنين في الحياة مهمشاً، ومع أن الكثير من النصوص الدينية تحظر الإجهاض إلا أنها أيضا تأثرت بموجات النسوية المتطرفة وسياسات الغرب الداعمة لليبرالية كاتفاقية سيداو، التي ذكرت في المادة السادسة عشر حق المرأة في أن تقرر، بحرية وبإدراك للنتائج، عدد أطفالها والفاصل بين الطفل والذي يليه، وحقها في الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل

---

[1] الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية، السيد أحمد السيد فودة، ص1870.

[2] الإجهاض في الفقه الإسلامي والطب المعاصر، نعمت عبد الهادي عيسى، رسالة ماجستير، جامعة وان يوزونجوييل، 2019م، ص19.

الكفيلة بتمكينها من ممارسة هذه الحقوق[1]، وتركز السياسات الغربية على تجنيد مصطلحات مثل العنف ضد المرأة، والجندر، والصحة الإنجابية وغيرها[2]، فاتسع الخلاف بين مؤيدي حق المرأة في التعامل مع جسدها وحق الجنين في الولادة والحياة، فيلاحظ الباحث نشوء تعارض بين قيمتين، الأولى قيمة حرية المرأة في التعامل مع جسدها، والثانية قيمة حق الجنين في الحياة.

فكانت اليهودية من أوائل الديانات السماوية التي ناهضت الإجهاض، فنجد في الوصايا التوراتية نهي عن القتل واعتبار أن للجنين حياة لا يجوز سلبها، ولكن هل هذا يعني مساواة قتل الجنين بقتل انسان مولود؟ يرد على هذا السؤال الحاخام (يتسحوق أدلرشتاين)[3] قائلاً بأن عدة مصادر في التلمود توضح أن الجنين لا يُنظر إليه قانونياً على أنه يتمتع بشخصية كاملة حتى لحظة ولادته (أو رأسه على الأقل)، ومن ناحية أخرى، لا يُنظر إلى الجنين على أنه مجرد كتلة من الأنسجة يمكن لأمه أن تعتبره جزءًا من جسدها، أو ورماً في بطنها لا أكثر، وهكذا تؤكد المصادر التلمودية أن الإجهاض لا يعامل بنفس القسوة التي يعامل بها القتل، وأن حياة الأم تتفوق على حياة جنينها، وفي الوقت نفسه، يتمتع الجنين بوضع قانوني، بشكل عام، يتطلب الأمر تهديدًا للحياة لتجاوز قوانين السبت[4]، ومع ذلك، يوضح مصدر تلمودي أنه يمكن للمرء انتهاك السبت

---

[1] اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، الجمعية العامة لأمم المتحدة، 18 كانون الاول/ديسمبر 1979م، مكتب المفوض السامي (موقع الكتروني https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/convention-elimination-all-forms-discrimination-against-women).

[2] المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة، كاميليا حلمي محمد، الطبعة الأولى 2020م، ص7.

[3] الحاخام يتسحوك أدلرشتاين: يشغل منصب كرسي سيدني إم إيرماس، المساعد للقانون اليهودي والأخلاق في كلية الحقوق لويولا في لوس أنجلوس، وهو المحرر المؤسس لموقع Cross-Currents.com، وهي مدونة للفكر اليهودي الأرثوذكسي. حصل الحاخام أدلرشتاين على رسميته الحاخامية في عام 1977م من مدرسة تشوفيتس حاييم الدينية (المدرسة الحاخامية الأمريكية) في نيويورك(https://www.patheos.com/resources/additional-resources/2009/08/getting-off-the-bus).

[4] قوانين السبت: وهي الوصية الرابعة بجعل اليوم السابع في الأسبوع مخصصاً للراحة والعبادة.

لإنقاذ حياة الجنين، بطريقة ما، يرى القانون اليهودي أن الجنين وسيط بين إنسان كامل وكيان غير قانوني[1].

ويواصل الحاخام قائلاً: إن مصدر الحظر ضد الإجهاض غير المبرر في قانون نواهيد[2] واضح ومباشر، ومن الغريب أن مصدر الحظر على اليهود ملتوٍ وغير مباشر، وقد اتفق أصحاب القرار منذ مئات السنين على تحريم الإجهاض، لكنهم اختلفوا حول هذا المصدر، وبالتالي اختلفوا حول شدة التحريم، والظروف المخففة المحتملة التي قد تسمح به، فأحد الآراء يعتبره بمثابة امتداد للقتل، ولكن قد لا يرقى قتل الأجنة إلى مستوى جريمة القتل العمد، ومع ذلك يجب التعامل معه بصرامة تامة، ووفقاً لهذا الرأي، فإن التهديد لحياة الأم هو وحده الذي يسمح بالإجهاض. (وحتى وفقًا لوجهة النظر هذه، فإن احتمال حدوث رد فعل نفسي شديد نتيجة للحمل يمكن في بعض الأحيان التعامل معه باعتباره تهديدًا للحياة).

ويقول الحاخام أن بعض المفكرين يسمحون بالإجهاض في حالات الاغتصاب وسفاح القربى، أو لحماية السلامة العقلية للأم، حتى عندما لا يكون هناك تهديد محتمل للحياة، ويسمح البعض في المدارس الأكثر تساهلاً بالإجهاض عندما لا تكون هناك قدرة على البقاء على قيد الحياة على المدى الطويل للجنين، كما في حالة التشخيص قبل الولادة لمرض (تاي ساكس – Tay-Sachs)، وهو مرض وراثي يهودي يودي دائماً بحياة الطفل في غضون بضع سنوات من ولادته.

---

[1] Getting of the bus, By Rabbi Yitzchok Adlerstein, AUGUST 06, 2009, (patheos.com).

[2] وهي شرائع نوح السبعة: تحريم الوثنية، تحريم ارتكاب جريمة القتل، تحريم السرقة، تحريم الانحلال الجنسي، تحريم التجديف، تحريم أكل من لحم حيوان حي، فرض إقامة نظام عدل لتطبيق الشرائع الستة السابقة.

واختتم الحاخام بقوله: ومع ذلك، لا تسمح أي سلطات يهودية تشريعية بالإجهاض كوسيلة راحة، أو كشكل من أشكال منع الحمل المتأخر، أو بسبب الصعوبات الاقتصادية، فمتى يصل الجنين إلى وضعه الخاص؟ في منطقة مختلفة من الشريعة اليهودية، فإن الجنين قبل مرور 40 يومًا بعد الحمل ليس له أي أهمية، بعض العلماء المهمين ينقلون هذا إلى ساحة الإجهاض، وفي أوقات الحاجة الماسة سيكونون أكثر تساهلاً قبل أن يصل الجنين إلى معيار الأربعين يومًا، ومن المثير للاهتمام، أن هذا لم يمنع كبار المقررين المعاصرين من الحكم بتساهل في الاتجاه المعاكس، مع التقدم الكبير في التدخل الجراحي للجنين، حكم البعض أنه إذا تمت الإشارة إلى مثل هذه الجراحة لجنين صغير حتى قبل اليوم الأربعين، فيمكن انتهاك السبت لإنقاذه. (حتى هذه المقررات لها حد أدنى. فهي لا تجيز انتهاك السبت بالنسبة للبويضة المخصبة التي تنتظر زرعها في الأم المضيفة)[1].

وفي المسيحية نجد العهد الجديد قد وافق العهد القديم في قضية تحريم الإجهاض، وتعطي الحق للجنين في الحياة، ولكن تختلف في أن التعاليم المسيحية تعطي صيرورة الحياة للجنين عند الاخصاب (40 يوماً عند اليهود)، كتعليم العلَّامة ترتليان (155–240م) الذي قال: " إذًا فالجنين يصبح إنسانًا بشرًا من لحظة تكوينه. فتعاقب شريعة موسى حقًا وبشدة العقاب أي رجل يتسبَّب إجهاض جنينًا"[2]، وتؤمن الكنيسة بأن بعض الرسل تم اصطفائهم منذ أن كانوا أجنة: " الرَّبُّ مِنَ الْبَطْنِ دَعَانِي. مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي ذَكَرَ اسْمِي"[3]، وأيضاً: " قَالَ الرَّبُّ جَابِلِي مِنَ الْبَطْنِ عَبْدًا لَهُ"[4]،

---

[1] Getting of the bus, By Rabbi Yitzchok Adlerstein, AUGUST 06, 2009, (patheos.com).

[2] الأنبا تكلا، الإجهاض من وجهة النظر المسيحية، (موقع الكتروني https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Science-and-the-Holy-Bible/Bible-n-Science-44-Conflict-bet-Bible-n-Science-3.html).

[3] سفر أشعياء 49: 1.

[4] سفر أشعياء 49: 5.

فالاختيار الإلهي من الرحم شائع جداً في الكتاب المقدس، مما يؤكد حياة الجنين وكينونته الإنسانية وتفرده بشخصيته وامتلاكه لحقوقه.

وهناك العديد من الآراء والمواقف للقديسين والتقليد المسيحي حول الإجهاض، مثل قوانين الآباء الرسل الاثني عشر: " لا تقتل طفلًا بالإجهاض ولا تقتل طفلًا حديث الميلاد"[1]، وماثله برنابا في رسالته قائلاً: " لا تقتل الجنين في بطن أمه، ولا تقتله بعد ولادته"[2]، وإدانة الفيلسوف أثيناغوراس (133–190م) للمسيحيين الذين يقومون بقتل الأجنة ووصف أفعالهم بالوحشية: " النسوة اللائي يأخذن عقاقيرًا تتسبَّب في الإجهاض هن قاتِلات"[3]، وكثير من أصحاب الرأي المسيحي الذين أدانوا الإجهاض ولم يعترفوا به وشبهوا النساء اللاتي يقمن به بالوثنيات مثل المُدافع المسيحي ماركوس مينوسيوس فيلكس (250م). واجتمعوا جميعاً على إدانة النساء اللاتي يقمن بالإجهاض، وتشبيه جرمهم بالقتل العمد، أمثال القديس هيبوليتوس الروماني (170–235م)، والبطريرك القديس يوحنا الذهبي الفم (348–407م)، والقديس جيروم (347–420م)، والقديس أغسطينوس (354–430م)، وأيضاً القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية (329–379م)[4].

وحديثاً رأي البابا شنوده الثالث بابا الإسكندرية (1923–2012م) الذي أيضاً أنكر الإجهاض وشبهه بالقتل، وحمل الطبيب الذي يقوم بالإجهاض مسؤولية الجرم، وأعطى حالة واحدة

---

[1] كتاب قانون الإيمان للرسل: الديداكية – القمص تادرس يعقوب ملطي، 22– الوصية الثانية للتعليم، 1975م.

[2] برنابا 19: 5.

[3] الأنبا تكلا، الإجهاض من وجهة النظر المسيحية، (موقع الكتروني https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Science-and-the-Holy-Bible/Bible-n-Science-44-Conflict-bet-Bible-n-Science-3.html).

[4] المرجع السابق.

يسمح فيها الإجهاض وهي إذا كانت سلامة الأم في خطر، ففضل الكائن الموجود على الكائن الذي سوف يُوجد[1].

وختاماً بالشريعة الإسلامية فإن حكم الإجهاض يتغير حسب سبب الإجهاض، فالإسلام أيضاً يفضل حياة الأم على حياة الجنين، ويقدم أعذاراً أو رخصاً في حالات محددة، ولكنه يحرم الإجهاض تماماً بغير عذر ويساويه بالقتل العمد، ولا يُجيز التعدي على حق الجنين في الحياة فقط لرغبة الأبويين بذلك أو لخوفهم من الأضرار الاقتصادية، خصوصاً بعد نفخ الروح فيه بعد 120 يوماً (4 أشهر) استدلالاً بحديث ابن مسعود[2]، وهو الرأي الأكثر قبولاً مع وجود آراء أخرى[3].

يختلف جمهور علماء الشريعة الإسلامية على حكم الإجهاض بدون عذر قبل نفخ الروح، فتتجه الحنفية للجواز والمالكية للتحريم، مع تباين الآراء بينهما، مستندين على اختلاف مدة نفخ الروح بين 40 يوماً أو 120 يوماً، وذهب البعض بقول أنه لا يجوز إخراج ماء المني المتكون في الرحم، أي حتى قبل مرحلة العلقة، أما بالنسبة للعلماء المعاصرين، فبعضهم أجاز الإجهاض قبل الأربعين بشرط موافقة الزوج، وعدم تعريض جسد المرأة للضرر، مثل الاستعانة بوسائل الطب الحديث أو شرب دواء لإنزال الجنين، وبعض المعاصرين ذهبوا لتحريم الإجهاض تماماً، كما قال الإمام القرضاوي –رحمه الله–: "الأصل في إجهاض الحمل الحرمة، فحرمته في الأربعين الأولى

---

[1] الأنبا تكلا، عظات مكتوبة لقداسة البابا شنودة الثالث – التاريخ: عظة الأربعاء 9 يونيو 2010 بالقاهرة، الحق، (موقع الكتروني https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/His-Holiness-Pope-Shenouda-III-Books-Online/55-Written-Sermons/2010-06-09__Wednesday_Right.html).

[2] روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطفةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ، ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ..." (أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643)).

[3] الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية، السيد أحمد السيد فودة، ص1880–1881.

أخف، ويجوز لبعض الأعذار المعتبرة, وبعدها تكون الحرمة الأقوى، وتتضاعف هذه الحرمة مرحلة بعد مرحلة أخرى". فيلخص حكم الإجهاض بغير عذر قبل نفخ الروح لرأيين: الجواز بشروط، أو التحريم، فشروط جوازه هي موافقة الزوجين، عدم وجود خطر لحياة الأم بحيث لا تتسبب العملية أو الدواء بضرر للحامل، والأخير هو بيان الأطباء المتخصصين بالمخاطر التي قد تلحق بالأم ويؤكدوا سلامتها[1].

ولكن ماذا عن حكم الإجهاض بغير عذر بعد نفخ الروح! فاستدلال العلماء بحديث ابن مسعود يبين أن الجنين بعد نفخ روحه يصير إنساناً معتبراً، له جنسه ورزقه وعمله وأجله، وتثبت له حقوقه كحقوق الذي ينفصل عن أمه، ويبدأ الجنين بالحركة داخل الرحم، فيكون قتله محرماً كما جاء في القرآن الكريم: " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ"[سورة الإسراء، الآية 33][2]، لأن نفخ الروح هو صيرورة الإنسان، فيكون حقه كحق المؤمن في الحياة، وقد أجمعت كل المذاهب وعلماء الدين المتقدمين والمعاصرين على حرمة قتل الجنين بعد 120 يوماً من تكوينه، وأن قتله جرم كبير، قال ابن الجوزي: "فتعمد الإجهاض قبل نفخ الروح فيه إثم كبير، فإذا تعمدت إجهاض ما فيه الروح كان كقتل مؤمن"[3]، وأعطوا رخصة واحدة لذلك وهو إذا كان استمرار حياة الجنين يعرض الجنين أو الأم أو كليهما للخطر، فتقدم حياة الأصل على حياة الفرع، فبعد نفخ الروح يجوز الإجهاض في هذه الحالة فقط.

---

[1] الإجهاض في الفقه الإسلامي والطب المعاصر، نعمت عبد الهادي عيسى، رسالة ماجستير، جامعة وان يوزونجوييل، 2019م، ص49-50.

[2] المرجع السابق، ص52.

[3] المرجع السابق، ص54.

وقد وضع العلماء المعاصرون خمس شروطاً لضرورة الإجهاض، حتى لا يترك مجالاً للتأويل المنحرف واستغلال الثغرات، وهي:

الشرط الأول: وقوع أسباب الضرر أو بدؤها في الوقوع، كأن يثبت تضرر المرأة الحامل من جنينها ضرراً يؤدي الى هلاكها، أو هلاك جنينها، أو كليهما، لا أن يكون الضرر منتظراً أو متوقعاً ولم يقع بعد.

الشرط الثاني: أن تكون عملية إجهاض الجنين هي الملاذ الأخير بعد تجربة كل طرق التي تتفادى الإجهاض، فإذا كانت الأم مريضة ويمكن علاجها وإنقاذ حياتها دون الحوجة للإجهاض فذلك أولى.

الشرط الثالث: أن تكون المصلحة من الإجهاض حقيقية وذات فائدة حقيقية، وليست بناءً على رغبة الأم في الحفاظ على رشاقتها، أو أنوثتها، أو تجنب الضغط النفسي، ففي هذه الحالات لا يجوز الإجهاض.

الشرط الرابع: أن يكون الإجهاض حافظاً لحياة الأم لا مهدداً لها، فإذا كانت عملية الإجهاض تعرض الأم للخطر فلا يجوز في هذه الحالة.

الشرط الخامس: أن يثبت خطر مواصلة الحمل على الأم من أطباء موثوقين، وأن يكون الخطر المحدق بالحامل بسبب جنينها.

هذه الشروط تحفظ حق الجنين في الحياة قبل ولادته، ولكن تؤكد بأن حياة الأم المحققة أولى من حياة الجنين المحتملة، وتطبيق هذه الشروط ينحصر في حالات قليلة جداً[1].

[1] الإجهاض في الفقه الإسلامي والطب المعاصر، نعمت عبد الهادي عيسى، رسالة ماجستير، جامعة وان يوزونجوييل، 2019م، ص58-59.

المطلب الثالث: حق الحياة والجهاد:

أثار الرأي العالمي والغربي خاصة قضية الجهاد، وتم اتهام المسلمين بالإرهاب وإباحة قتل الأبرياء، من الإعلام الغربي الممنهج، ضاخّين مادتهم الإعلامية التي تضلل عقول الناس، وتوهمهم بخطر المسلمين على العالم وإباحتهم بسفك دماء من يعتبرونهم كفار، فأصبحت كلمة الجهاد مرتبطة بالعنف والعدوان والخوف والإرهاب، مجردةً معناها الحقيقي من العقيدة الإسلامية، ولا شك بأن الظروف السياسية والمصالح القومية لبعض الدول الغربية، استدعت تحريف معنى الجهاد وتحوير هوية أفراده الى مجرمين متوحشين، وظهور بعد المدّعين التفقه في الدين الذين مارسوا الإرهاب باسم الإسلام وساهموا في تحريف المعنى الحقيقي للجهاد.

فحق الحياة حفظ في الشريعة الإسلامية للمسلم وغير المسلم، كما شرعت الحرب والاقتتال للدفاع ضد عدوان، أو لنشر رسالة الله، ولكن بضوابط وضعتها الشريعة حتى لا يعم الظلم والفساد، فمشروعية الجهاد في المقام الأول كانت ضد الظلم وليست ضد مخالف العقيدة، فالكافر المسالم لا يقاتل، كما قال –جل جلاله– : "لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[سورة الممتحنة، الآية 8]، فبدون عدوان أو ظلم واقع على المسلمين لا يوجد تشريع أو وجوب للقتال، ففي حالات السلم لا تجوز أذية الذميين كما شرحنا سابقاً، ولكن عند وقوع الظلم على المسلمين هنا وجب الجهاد للدفاع عن النفس ورد العدوان، قال –عز وجل– : " وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ"[سورة البقرة، الآية 190]، فحتى الذين أوجب قتالهم لا يجوز الاعتداء عليهم.

وضع النبي –صلى الله عليه وسلم– ضوابط للقتال، فقال: " اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا"[1]، فحرم الغلو والغدر والتمثيل وقتل الأطفال حتى وقت القتال، وهذه ضوابط لا نجدها في حالات الحرب المسيحية أو اليهودية، ولم تتوقف نصوص الشريعة الإسلامية عند هذا الحد، بل تعدى للنهي عن النهب بعد النصر كما جاء عن عبدالله بن زيد: " نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن النُّهْبَى، والمُثْلَة"[2]، وهذا لم تفلح به الدول الحديثة التي تدعي أخلاقياتها العالية المهنية، فكما رأى العالم من مجازر وقعت على أيدي مثل هذه الدول، مثل مجزرة دريسدن، وحرب البلقان، التي لم يسلم منها النساء والأطفال. وعلى نقيض ذلك نجد الحدود الإسلامية تمنع قتل النساء والأُجراء عندما أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خالد بن الوليد بقوله: "لا يقتلن امرأة، ولا عسيفا"[3]، ووصية أبو بكر الصديق لجنوده قبل فتح الشام، التي تعتبر أرقى وثيقة في تاريخ البشرية عن آداب الحروب.

وعند انتقاد المتطاولين على الآداب الإسلامية للحروب ووصاياها، نجدهم يختبئون خلف عباءة العلمانية وإنجازاتهم في حقوق الإنسان، تلك الوثائق التي لم يستطع الغرب الوصول الى مستوى مبادئها، ولكن فلننظر للنصوص الدينية الأخرى في موضوع الاقتتال وهل تحتوي على آداب لمنع التعدي والظلم؟ الجواب هو لا، فمن النصوص السابقة نرى إباحة قتل النساء المتزوجات والأطفال، والأبشع من ذلك ما جاء في العهد القديم: "وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ"[4]، فلا رحمة لكبير أو صغير، رجل مسالم

---

[1] رواه مسلم، رقم 1731.

[2] رواه البخاري، رقم 2474.

[3] رواه أبو داود، رقم 2669.

[4] سفر يشوع 6: 21.

أو امرأة، حتى البقر والغنم والحمير لم تسلم من هذا البطش الطائش الظالم، فكيف للمؤمنين بتسامح إله العهدين أن يتجاهلوا قسوة إلههم في هذه الآيات! وكيف لهم انتقاد رحمة الشريعة الإسلامية في القتال! فلا تبرير إلا للغيرة الدينية والمصالح السياسية.

المطلب الرابع: تشريعات من الأديان الكتابية تسلب الحق في الحياة[1]:

مع التشديد على حق الحياة ومنع التعدي عليه، أتت تشريعات في النصوص المقدسة تبيح هدر الدماء في حالات معينة، هذه الحالات تراها النصوص المقدسة لكل ديانة على أنها درء للمفاسد أو تجنب آثارها.

ففي الديانة اليهودية التي نجدها أشد الديانات دموية ومهدرة للحياة، ولا تلقي بالاً بالتكريم الإلهي للبشرية جمعاء، بل تختص وتحتكر كل الأخلاق في التوراة على المعاملات مع اليهود، تاركة الأغيار طعاماً للسيوف. وقد جاءت تشريعات كثيرة تبيح القتل في النصوص اليهودية مثل حكم ضرب أو سب الوالدين، وحكم الخطف، حكم الزنا للمرأة، والبيع بالربا لليهودي، وحكم القتل، والتجديف باسم الرب، وعبادة الأوثان، والعمل وطلب الرزق يوم السبت. وأجازت اليهودية قتل الابن العاق، وغيرها من الأحكام التي تثبت تشدد التوراة وتسهيل القتل وسفك الدماء.

أما في المسيحية فقد أقر المسيح عدم إلغاء القوانين وأكد العمل بشريعة التوراة، ولكن مع التحريف الذي طال النصوص الدينية المسيحية والتقاليد الدخيلة عليها أصبح التناقض سمة أساسية في النصوص، فنجد مرة مسامحة المسيح للمرأة الزانية، ومرة أخرى يبيح قتل من لعن والديه، ولعل سعي المسيح لنقل الأحكام الموجودة في التوراة من معناها الحسي الى المعنوي جعل البعض

[1] مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، د. فتحي جوهر فرمزي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، العدد (2/15)، المجلد الثامن، 2014م، ص4-24.

يظنون بأنه الغاء للشريعة السابقة، وأتى (بولس) لينسب الألوهية لعيسى –عليه السلام– بعد ظنه أن إلغاء القوانين والتصرف فيها حق للإله فقط، فعندما يذنب رجل أو امرأة يذهبون الى الراهب فيتصدقون ويتطهرون، وهذا الفراغ التشريعي هو الذي سمح للكنيسة بادعاء أن سيادتها مستمدة من الله، فباتوا يشرعون على هواهم.

والإسلام أيضاً يحتوي على بعض العقوبات التي تستلزم سلب الحياة حفاظاً على المجتمع ودفع للمفاسد والأضرار، مثل حكم القتل العمد، ردعاً للقاتل وتخويفاً لمن تحدثه نفسه بالقتل، وعقوبة المرتد عن الدين، والزاني المحصن، وقاطع الطريق، والخائن أو الجاسوس، والساحر[1]، فكل هذه الجرائم تضر المجتمع عقائدياً واجتماعياً وأمنياً واقتصادياً، فلابد من وضع عقوبة رادعة تحفظ للمواطنين حقوقهم. وتفرد الإسلام بوضع شروط عديدة لتنفيذ الإعدام، وقاعدة إنسانية تقول: "المتهم بريء حتى تثبت إدانته".

المبحث الثاني: مبادئ الحق في الحياة في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

عند البحث في الكتب المقدسة نجد أن النصوص الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية أعطت الإنسان حق ثابت بأصل خلقه، بتكريم رباني وتؤكد الشرائع السماوية بأنها نصت بحفظ حقوقه وصونها والدفاع عنها، وهذه الكتب المقدسة كانت تزخر بالعديد من النصوص والمعاني المؤيدة لجميع قضايا حقوق الإنسان، والتي تم صياغتها في المواثيق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات المشمولة في حدود البحث، والتي تمت من خلال شخصيات حقوقية من ديانات مختلفة

[1] الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام/ محمد صالح المنجد، سؤال رقم 20824، تاريخ النشر: 28–12–2002م.

وأغلبها من الديانتين المسيحية واليهودية والتي وضعت خطوط وملامح للقيم الدينية في تلك المواثيق. عند قراءة التاريخ هناك خلفيات دينية حاضرة في تلك المواثيق (شخصيات – نصوص مؤيدة ومعارضة – وتأثيرها في التأييد الدولي)[1]. هناك تزامن بين بروز البعد القيمي في الدراسة.

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الانسان[2]:

يذكر غانم جواد في تعريفه للإعلان العالمي لحقوق الإنسان أنه أكثر من 85 وثيقة أممية أصدرتها الأمم المتحدة تسمى إما بالعهد أو إعلان أو حق أو بروتوكول. ترسخ القوانين الإنسانية العامة وتؤكد حريات الإنسان في كافة الدول دون اعتبار للدين أو العنصر أو الجنس أو الحالة المادية. ويشتمل على بنود مثل الحرية والكرامة والأمن ومنع التعذيب والتمييز وغيرها من الحقوق الإنسانية.

لكن مراحل تطور مفهوم حقوق الانسان لم يشمل جميع أفراد المجتمع، مثل قوانين حمورابي التي كانت مثالاً للظلم والقسوة. والقوانين الإغريقية التي لم تشمل النساء والعبيد والأجانب كجزء من الشعب. فجميع الحضارات السابقة قامت بمنظومة قوانين ليست كالتي لدينا اليوم. ومن هذه البدايات والتاريخ البعيد بدأ التطور التدريجي لمفهوم حقوق الانسان، وبدأت الحقوق باستيعاب الجميع شيئا فشيئا. الى أن أتى الإعلان العالمي لحقوق الانسان بعد الحرب العالمية الثانية ليجعلها منظومة قيم أخلاقية موجهة لتوحيد البشرية في أمة أخلاقية واحدة.

---

[1] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص39.

[2] المرجع السابق، ص557-567.

وقبل ذلك كانت هناك عصبة الأمم، وهي المنظمة التي نشأت خلال الحرب العالمية الأولى، بموجب اتفاقية (فرساي) لتعزيز التعاون الدولي، وتحقيق السلام والأمن، عام 1919م[1]. وبين عامي 1946 و1948م حدثت لقاءات ونقاشات طويلة لوضع قانون عالمي لحقوق الإنسان نتيجة ظهور دعوات بين بعض الدول الغربية لتعميم مظاهر السلام في العالم إثر الأحداث الدامية في الحروب العالمية وغيرها. أثمرت هذه النقاشات في الفلسفة والقانون والاختلافات الثقافية والسياسة التطبيقية، عن صياغة أول إعلان متكامل لحقوق الإنسان في ليلة العاشر من ديسمبر 1948م، وصفته الجمعية العامة للأمم المتحدة بالهدف الذي يجب على جميع الأفراد والمجتمعات وضعه صوب أعينهم واحترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التربية والتعليم. ومنذ ذلك اليوم وهو أحد أهم الوثائق في تاريخ البشرية على قيم مشتركة بين أتباع الأديان والدول والأعراق. شارك في كتابة ها الإعلان الممثلين: إليانور روزفلت Eleanor Roosevelt عن الولايات المتحدة رئيساً للجنة، ب.ك. تشانغ P.C. Chang عن الصين نائب الرئيس، شارل مالك Charles Malik عن لبنان مقرراً، رينيه كاسان René Cassin عن فرنسا.

أوضح الإعلان التحديات والعقبات التي ستواجه الإجماع أو التوافق الأخلاقي في هذا العالم المتنوع الثقافات والديانات، فكان لابد من الوصول الى أرضية مشتركة تعرف فيها القيم بصورة متشابهة. فتم تقسيم القيم الى قيم إنسانية وقيم مادية. سيتناول الباحث القيم الإنسانية في هذا البحث وسيركز على قيمة حق الحياة والتسامح والتعارف في المواثيق الدولية.

عند النظر الى مصادر ومنابع هذه القيم، لا يمكن نكران الأثر الديني في تحديد القيم ومكانتها خصوصاً الأديان السماوية، وربط مصدر القيم بالإله يعطيها قدسية من ناحية ورسوخاً

[1] المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة، كاميليا حلمي محمد، الطبعة الأولى 2020م، ص11.

من ناحية أخرى، ولكن هناك مصادر أخرى للقيم، فدعاة المذهب الفردي يقولون أن الفرد هو الغاية من كل تنظيم قانوني، فهو يتمتع بحقوق بديهية طبيعية قبل قيام الجماعة والسلطة، وأن هدف القانون هو المحافظة على هذه الحقوق وتمكين الفرد من التمتع بها، لذلك يرون الحق بأنه قدرة أو سلطة إرادية، بينما يرى أنصار المذهب الاشتراكي أن الجماعة في ذاتها هي هدف كل تنظيم قانوني، وليس للفرد التمسك بحقوق طبيعية قبل الجماعة بل أن القانون هو الذي ينشئ الحقوق ويشرعها، لذا يرون أن الحق هو مصلحة يحميها القانون[1].

فكان لابد من صياغة إعلان يقر بمبدأ كرامة الإنسان ويقدر التشابهات بين الأديان السماوية والأيدولوجية، والمذاهب الفلسفية والأخلاقية، ومزج المدارس الفكرية الاجتماعية والنفسية والإنسانية، وتجريم كل السلوكيات التي تضر كرامة الإنسان، وإلزام عقوبة لمن يتعدى عليها. فاقتضت الحاجة تحديد ماهية القيم والاتفاق عليها وهنا تأتي الصعوبة بإجماع جميع الحضارات والثقافات على المبادئ الأخلاقية وتقنينها على مستوى عالمي. واتبعت اللجنة المقررة لحقوق الانسان الخطوات التالية[2]:

1. مزج مصادر القيم والمبادئ الأخلاقية بين المذاهب المختلفة.
2. أن تكون القيم متفق عليها داخل المجتمع الدولي.
3. أن تراعى خصوصيات المجتمعات بعد تحديدها وتسهيل آليات تتناسب مع طبيعة أصحابها.

---

[1] الحق في الحياة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي، عتاك يمينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة مولود معمري تيزي وزو، قسم الحقوق، ص11.

[2] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص47.

4. أن تختار مفرداته وألفاظه بدون انحياز.

5. أن يتفق أصحاب الأديان واللادينيين على أساسياته.

ويأتي السؤال هنا، كيف تأثرت كتابة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بالدين؟ وهل يوجد أثر ديني في الإعلان الحالي؟ لا شك أن الأديان السماوية كانت تدعو الى الأخلاق الفاضلة مع اختلافات في خصائصها مثل حق الحياة، والحرية، والعدل، والمساواة – الى حد ما – والإخاء، والتسامح، واجتمعت الأديان على مبدأ كرامة الإنسان، فقد جاء في الديباجة: "حيث إن حجر الزاوية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو التصور عن: "الكرامة الإنسانية" فإن الاعتراف بالكرامة المتأصلة وبحقوق أعضاء الأسرة الإنسانية – المتساوية وغير القابلة للمصادرة – هي أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم".

ويحتوي الإعلان على مواد توافقت مع النصوص المقدسة، فالمادة الأولى تؤكد مبدأ الكرامة الإنسانية والحرية الفطرية، وتقول: "يولد جميع الناس أحراراً، ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء"[1]. والمادة الثالثة تؤكد الحق في الحياة وتنص على: "لكل فرد الحق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه"[2]. وترجع المادة الرابعة لتعيد تأكيد الحرية الفطرية: "لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما"، والمادة الخامسة تحمي تدنيس الكرامة الإنسانية وتقول: "لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب، ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانية، أو الخاصة بالكرامة". وأقرت الحرية

---

[1] THE UNIVERSAL DECLARATION OF HUMANRIGHTS, 45th anniversary 1948-1993 PREFACE BY FEDERICO MAYOR DIRECTOR-GENERAL OF UNESCO, published in 1994 by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 7 Place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, page7.

[2] المرجع السابق، ص7.

الدينية في المادة الثامنة عشر: "لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين. ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه، أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة"[1]، كما حددت باقي الفقرات ضوابط عقوبة الإعدام في الدول التي لم تلغها، كحصرها على الجرائم الأكثر خطورة فقط، وللأشخاص فوق الثمانية عشرة عاماً، ومنع إعدام الحوامل والمرضعات[2] مع تغليب مصلحة الرضيع.

أثناء صياغة الإعلان العالمي جرت محاولات لإدخال بعض الصياغات والقيم الدينية أو حذفها، مثل اقتراح "شارل مالك" القائل: "الأسرة الناشئة من زواج هي الوحدة الطبيعية والأساسية للمجتمع، وقد منحها الخالق حقوقا غير قابلة للمصادرة ..."[3]، لاقت لفظة "الخالق" موجة اعتراضات بسبب وجود جماعات لا تؤمن بوجود إله، وجماعات أخرى تؤمن بأن "الخالق" هي الطبيعة. وقرر وزير خارجية المملكة المتحدة ألا يرد ذكر لفظ "الله" في أي موضع في الإعلان، بسبب فصل الدين عن الدولة في بعض البلدان، وحتى لا يكون فرضاً للمعتقد على الآخر. اقترحت البعثة البرازيلية تعديلا في المادة الأولى لترسيخ مبدأ الكرامة الإنسانية، أن الرب خلق الإنسان في صورته، ودعمت البعثة الأرجنتينية هذا المقترح دون نية لفرض معتقد إيماني محدد، بل شعرت أن الدين ليس في صراع مع السياسة وأن التناغم ممكن بينهما، وأن الوصايا العشرة الإنجيلية تلهم نحو

---

[1] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص50.

[2] الحق في الحياة: دراسة تحليلية مقارنة، د. سحر محمد نجيب جرجيس، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 17، عدد 61، 2019م، ص168.

[3] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص50.

السلام، واعتبرتها أول إعلان لحقوق الإنسان، وتأثر الإعلان بالقيم الإسلامية في نقطة حفظ كرامة الجنازة حيث ذكرت المادة الثانية: "يجب أن تصان حرمة جنازة الإنسان وألا تنتهك، كما يحرم تشريحه إلا بمجوز شرعي، وعلى الدول ضمان ذلك"[1].

رغم مشاركة متخصصين من مختلف الثقافات والأديان في صياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إلا أنه اصطبغ بصبغة غربية ليبرالية علمانية، تناسب أجواء المناخ الفكري الأوروبي التنويري من القرن السادس عشر الى أواخر القرن التاسع عشر. وشاركت منظمات غير حكومية في صياغة الإعلان كان أهمها المجلس اليهودي الأمريكي والمجمع الفيدرالي للكنائس ومجموعات كنسية عالمية وأفكار من المجتمع الكاثوليكي. فالتأثير الأوروبي يغلب في هذا الإعلان باقي الأفكار غير الأوروبية. قالت القانونية "ماري آن قليندن": ولكن لو تساءلنا من أين أتى السياسيون بتلك الأفكار عن الأسرة والعمل والحياة المدنية وكرامة الإنسان؟[2] الجواب أنهم حصلوا أهمها من "Rerum Novarum" لسنة 1891م، ومن "Quadragesimo Anno" لسنة 1931م. فكلاهما منشوران من فلسفة إيمانية مسيحية الأول يتحدث عن العمل والعمال للبابا "ليون الثالث عشر"، والآخر يشرح إعادة بناء التنظيم الاجتماعي للبابا "بيوس الحادي عشر". وهناك وثائق أخرى كالدستور الرعوي "Gaudium et Spes" للبابا "بولس السادس" وفيه إعلان حقوق الإنسان، وقد اكتسبت الكنيسة هذه الأفكار من المباحثات الاجتماعية التي كانت نتيجة التنوير والثورات

---

[1] الحق في الحياة: دراسة تحليلية مقارنة، د. سحر محمد نجيب جرجيس، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 17، عدد 61، 2019م، ص169.

[2] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص54.

الأوروبية والاشتراكية. فالكتلة الدينية الأكثر تأثيراً في صياغة هذا الإعلان كانت الكتلة اليهو-مسيحية، ومع اتفاق الإسلام في كثير من القضايا معهما[1].

ومع وجود هذه المواثيق التي تحفظ حق الحياة قد يظن الكثير أن الحق الحياة مصان ومحافظ عليه في كل العالم، لكن الواقع يعكس خلاف ذلك، فإهدار الدماء فردياً أو جماعياً تحت ستار سياسي أو اقتصادي بحجة المحافظة على الأمن القومي موجود هنا وهناك، حتى أصبح أقصر طريق لاستتباب الأحوال العامة في نظر أصحاب السلطة[2].

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م:[3]

على مر القرون، كانت شيطنة أو تشويه سمعة حضارة أو مجموعات مختلفة (وخاصة فيما يتعلق بالهوية الدينية) في كثير من الأحيان مقدمة للصراع المسلح، وعملت على خلق ذريعة للسعي العنيف لتحقيق مصالح اقتصادية في المقام الأول أو إضفاء الشرعية عليه، وإن الشعور بالتهديد من الاختلاف العرقي أو الثقافي أو الديني يؤدي الى الاغتراب بين المجموعات المتنوعة، وهو بذرة التوتر الذي ينتهي بصدام دموي، ويستحقر حق حياة المختلفين بعد شيطنتهم.

ويشرح الرئيس محمد خاتمي في مبادرته أهمية إزالة عوائق الحوار حتى يتغلب الناس على نقص المعرفة والأحكام المسبقة عن الآخرين، فيختفي الشعور بالتهديد وقد يكون نواة تقدم وجهات

---

[1] القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019)، ص57.

[2] الحق في الحياة: دراسة تحليلية مقارنة، د. سحر محمد نجيب جرجيس، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 17، عدد 61، 2019م، ص164.

[3] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013

نظر جديدة تزيد من إثراء الواقع الحضاري وتتفادى الصراع المكروه، الذي يحتمل وقوعه في وقت تقارب فيه الناس بفعل التطور في وسائل الاتصالات، كما حدث مع أقلية الروهنغا في ميانمار، التي نشأت معاناتها بعد استحداث وسائل التواصل الاجتماعي دون اللجوء الى الحوار الفعّال[1].

ويقول إن أحد أخطر التهديدات التي يتعرض لها السلام والاستقرار الدوليان هو استمرار، أو حتى خلق، في بعض الحالات، قوالب نمطية معادية على طول الخطوط الحضارية. ويرجع ذلك جزئيًا إلى غياب توازن القوى العالمي، مما يجعل الشعوب والمجتمعات الاجتماعية والعرقية في العديد من مناطق العالم مهددة بالانقسام على أسس ثقافية أو حضارية. فالحضارة ليست سوى جلد رقيق. كان ينبغي للبشرية أن تتعلم الدروس من تاريخ الحروب الصليبية. لقد أثبت التاريخ أن الحضارات العظيمة ازدهرت من خلال تبادل أفكارها وخبراتها مع الحضارات الأخرى. وبعد العديد من الصراعات الإقليمية والحربين العالميتين، يجب على الدول ألا تكرر نفس الخطأ في النظام العالمي للألفية الثالثة.

ويختتم بقول إن العديد من الحروب تنبع من خوف الناس ممن يختلفون عنهم. ولذلك فإن هناك حاجة بديهية لتعلم كيفية إدارة التنوع بشكل أفضل. وفي هذا السياق، ينبغي استخدام التنوع كأحد الأصول. إن استخدام التنوع كتهديد هو بذرة الحرب. وأن الحل الأفضل للتخلص من هذا التهديد هو عبر حوار بين الحضارات، حوار متكامل الأركان ومستوفٍ لكل الشروط.

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م[2]:

---

[1] منظمة العفو الدولية، قال (بات دي برون)، مدير برنامج مساءلة شركات التكنولوجيا الكبرى في منظمة العفو الدولية: "على الرغم من أن ذلك يبرز كواحد من أفظع الأمثلة على تورط إحدى شركات التواصل الاجتماعي في أزمة من أزمات حقوق الإنسان، إلا أن الروهنغا ما زالوا ينتظرون الحصول على التعويضات من شركة ميتا"، 2023/8/30.

[2] Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.

استنكر رئيس الحكومة الإسبانية الأعمال الإرهابية التي وقعت ببلاده وبعض الدول الأخرى، هذه الأعمال التي لا تفرق بين طفل وكبير، وتحصد أرواح الناس بكل شراهة، وقال إنه لا يمكن تبرير الإرهاب بأي شيء، فهو كالطاعون الذي ينتشر بالأرض، وشبه الإرهابيين بالمصابين بالجنون الذين ينشرون بذور الموت أينما حلوا. وعبر عن دعمه لضحايا الحروب في العراق، وقال إن بلاده تقف دائماً ضد الحرب.

ولكن نلاحظ تناقضاً في خطابه عندما تحدث عن القضية الفلسطينية، فقال إن إسرائيل لديها حق الدفاع عن نفسها، وهذا هو الخطاب النموذجي لتجاهل أرواح الفلسطينيين، فإسرائيل لا تحمي نفسها بل تقتل وتشرد وتبيد شعباً كاملاً باحتلال أرضه تماماً كما حدث مع السكان الأصليين للأميركتين.

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان[1] ووثيقة الأخوة الإنسانية[2]:

في عام 2022م اجتمعت رابطة العالم الإسلامي مع العديد من القيادات والشخصيات والمؤسسات الدينية العالمية في مُلتقى (القيم المشتركة بين أتباع الديانات)، تدارسوا فيه الأحوال العالمية وتطوراتها وأكدوا على ضرورة الاستفادة من أخطاء التاريخ والحذر من تكرار أحداثه المؤسفة، وتفعيل الآليات الإنسانية لحل الخلافات والنزاعات، واستناداً على المبادئ المشتركة في النصوص الدينية والوثائق الدولية المنادية الى القيم المثلى، واستكمالاً لواجب القيادات والمؤثرين

[1] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.

[2] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة.

العالمي في تعزيز روح التعاون والتسامح والتفاهم، توصل الملتقى الى مجموعة قيم داعية لخير الجميع.

فأكد الملتقى على سواسية البشر مع اختلافهم وحقهم في الحياة، وذكر أن جميع حقوق البشر قيمة مركزية موجودة في وجدان كل شخص سويّ، وأن التعاليم الدينية تحرس هذه الحقوق، وتُجرم انتهاكها المواثيق الدولية، واستنكر الملتقى أعمال التحريض على الإرهاب والعنصرية والكراهية، التي تؤدي لانقسامات في المجتمع تليها أعمال عنف ضد الأقليات، فالإنسان أخو الإنسان، وبهذه الأخوة يتحقق السلام الحقيقي ووئام المجتمع.

وقد وصى الملتقى بالدعوة الى تعزيز بناء تحالف دولي للحضارات، مع التذكير بالقيم الإنسانية المشتركة، ودعوة الدول ومنصات الإعلام الى نبذ خطاب الكراهية، متعظين بتجارب التاريخ في ذلك، ودعوة المنابر الدينية الى التحلي بخطاب الاعتدال والتسامح والتآخي، وعدم توظيف الدين لأعمال العنف وتأجيج الصراعات[1].

وجاء في وثيقة الأخوة الإنسانية التي وُقعت بين شيخ الأزهر الشريف أحمد الطيب والبابا فرانسيس "أن الله أعطانا هبة الحياة لنحافظ عليها، ولا يحق لأي انسان أن ينزعها أو يهددها أو يتصرف بها كما يشاء، وأن الدين لم يكن يوماً للقمع والاستبداد بل هو مصدر السلام والطمأنينة للشباب، ولم تختلف تعاليم الأديان في احترام الحياة وقدسيتها"[2]. وخلصت الى الدفاع عن استمرارية الحياة، وإعطاء الأجنة حقها في النمو، وحرمت تحديد أيام حياة كبار السن والمرضى بما يعرف بالموت الرحيم[3].

---

[1] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م، ص6.

[2] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة، ص5.

[3] المرجع السابق، ص8.

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات الحق في الحياة بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

من البديهي أن تقدم وتحضر البشرية يعتمد على صون حياة الإنسان وتكريمه، ولكن على الرغم من وجود هذه المواثيق والقوانين التي تكرم حياة الإنسان وتحفظ حقه نجد الواقع ينافي تلك البديهيات، وعلى الرغم من أن الإنسان المعاصر وفر لنفسه كل حاجاته القانونية والمادية إلا أنه لم يستطع منع الجريمة والحرب والإرهاب والفقر والمعاناة الإنسانية، ومع أن الإنسان قادر بفطرته على تحقيق القيم الإنسانية إلا أن الخلل في تطبيق هذه القيم وازدواجية المعايير سببان أساسيان في المعاناة والصراعات والأزمات التي يعيشها الإنسان اليوم.

المطلب الأول: استنتاجات حق الحياة في المرجعيات الدينية:

اجمعت كل الأديان ظاهرياً على تكريم الإنسان وتأكيد حقه في الحياة، واعتبرت حياته هبة من الله لا يجوز سلبها بغير وجه حق، مع اختلاف الأديان فيما هو الحق الذي يبيح سلب حياة إنسان، فذهبت اليهودية الى إباحة دماء الأغيار بل واعتبرتها مقربة للرب، واتجهت مع المسيحية للبطش في الحروب وعدم إعفاء الأطفال والنساء والحيوانات، واعتدل الإسلام في نص آداب ووصايا في حالات الحرب، مثل عدم قتل النساء والأطفال والكبار، وحرق الأشجار وهدم البيوت وإضرار المال.

ويلاحظ وجود تناقضات بين النصوص الدينية المسيحية واليهودية والتطبيق العملي لها، فمع وجود قوانين في القديم بعدم القتل، ووجود نصوص للتسامح وإدارة الخد امتلأت الديانتان بأحكام لم تطبق في تاريخيهما، وكان التطبيق التاريخي مليء بسفك الدماء، وتحقير الإنسان، حدث هذا بسبب استحداث مصادر أخرى أثرت على اللاهوت والتفسيرات للنصوص المقدسة، في حين

أن تاريخ الإسلام، كان الالتزام شديداً بمصادر التشريع الأساسية ولم تستحدث مصادر أخرى للربوبية إلا في جماعات صغيرة اخترقت صفوف المسلمين لا تؤثر على العقيدة الأساسية.

وكل الديانات شرعت حدوداً يعاقب متعديها بالقتل، كان أشدها في اليهودية بإباحة قتل من شتم أبويه كما ذكرنا سابقاً، وقتل من ذهب لطلب رزقه يوم السبت، وكانت أكثر الديانات سفكاً للدماء، تبعتها المسيحية ثم الإسلام.

كما حفظت الأديان حق الحياة قبل الولادة للجنين، وجعلت إجهاضه جرماً كبيراً يساوي قتل إنسان مولود، اعتبرت المسيحية الجنين إنساناً منذ لحظة التلقيح، ويتمتع بكامل حق الأنسان الحي وجرمت قتله، في حين أن اليهودية والإسلام قد أعطيا مدة لاعتبار كينونة الجنين كانسان، فهي 40 يوماً في اليهودية و120 يوماً في الإسلام، مع أن الأخير قد أعطى ضوابط وشروط لحالات معينة يجوز فيها الإجهاض أهمها الحفاظ على حياة الأم وسلامتها.

المطلب الثاني: علمنة قيمة حق الحياة:

في العصر الحديث بعد انتصار أوروبا على الحكم الكهنوتي وقيام العلمانية والليبرالية، كان لابد من وضع مبادئ بشرية تغطي الفراغ الروحي في السياسات القومية، الذي نشأ بسبب دعاوى الجمهوريات لفصل الدين عن الدولة، فكان لابد من علمنة القيم الدينية، واستبدال مصادرها بمصادر بشرية وضعية تغني عن الحاجة للدين وتقصيه نهائياً، لإنجاح نظام العالم الجديد.

فقامت الأمم المتحدة بتقرير الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأكدت فيه على كرامة الإنسان وحقه في البقاء وحماية نفسه وجسده، وحظرت كل ما يعرقل ممارسته لهذا الحق، لكن مع الأسف لم يجف الحبر على هذه الوثائق حتى أنتجت جرائم عالمية استباحت دماء الأبرياء في سبيل الرأسمالية، وشهد العالم مجازر قامت بها الدول الأساسية المؤسسة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فقد ثبت أن أصحاب القبعات الزرق يسّروا أو تغاضوا عما أُرتكب من جرائم في حرب

البوسنة والهرسك سنة 1992م، حين كان شعب البوسنة يتعرض لإبادة جماعية من قبل المسيحيين الصرب والكروات، وأيضاً المذابح التي يتعرض لها الفلسطينيون والسوريون والعراقيون واليمنيون، وآخرين من الأقليات المسلمة[1]، فاتضح كذب ادعاء الداعين لحقوق الإنسان، واعتناقهم لديانة المال والثراء، وتقديم قطرة النفط على دماء البشر.

[1] المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة، كاميليا حلمي محمد، الطبعة الأولى 2020م، ص14.

العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتسامح ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

تمهيد

مما لا شك فيه أن التسامح من القيم الفضلى لرفعة المجتمعات وتقدمها، به يسود احترام إنسانية كل الفئات والطبقات الاجتماعية، ويعزز الاحترام والتفاهم، وبدونه يزلزل استقرار الشعوب النفسي والاقتصادي والأمني، ويطغى التمييز والعنصرية على المستضعفين.

المبحث الأول: قيم التسامح في الديانات السماوية:

التسامح يعد قيمة أساسية في الديانات الإبراهيمية، وهي اليهودية والمسيحية والإسلام. في هذه الديانات، يعزز التسامح فهمًا عميقًا للرحمة، ويحث على التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين الأفراد والمجتمعات المختلفة، ففي اليهودية، يظهر مفهوم التسامح في تعاليم (أحب لغيرك ما تحب لنفسك، والأخلاق قبل الشريعة) والتي تشجع على التعاطف والاهتمام بالآخرين. تتضمن اليهودية أيضًا مفهوم الصفح والعفو، حيث تحث الفرد على غفران أخطاء وزلات الآخرين أما في التعاليم المسيحية، يبرز التسامح من خلال مبادئ الحب والرحمة والتصالح والود، وفي الإسلام، يتم تشجيع المسلمين على التسامح والعفو من خلال عدة مفاهيم وآيات قرآنية. على سبيل المثال، يشدد الإسلام على أهمية الرحمة والتسامح، ويحث على مغفرة الآخرين. آية قرآنية تعبر عن ذلك هي: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ"[سورة النور، الآية 22].

المطلب الأول: قبول الآخر

تاريخ البشرية الطويل مليء بالصراعات الشرسة التي أخرت تقدم بني الإنسان، كانت بسبب اختلافات عرقية، أو دينية، أو ثقافية، أو فكرية، أو غيرها من الأسباب، لكن نكاد لا نجد موضعاً في التاريخ القديم اتفقت فيه جماعة ما على تقبل الآخر باختلافاته، فكانت بذرة للحروب القاسية التي محقت شعوباً عدة واستعبدت أقواماً باستحقار اختلافاتهم، لكن لا ذنب للإنسان في التنوع البشري، أفكاراً، وعقائداً، وثقافاتٍ، وألوان، فكلنا من إله واحد حكيم، أثرى الأرض باختلافات ألواننا ولغاتنا، ولابد من رسم الطريق الى أعمق كنز للإنسانية وهو تقبل الآخر باختلافه عنا، وبذلك يكون احترام وتقدير التنوع البشري أساس بناء مجتمع يعيش بسلام.

إن تقبل الآخر لا يقتصر على الاحتفاء بالثراء الحضاري والثقافي فقط، بل يمتد إلى قبول اختلاف الجميع في الأفكار والأعراق والآراء والعقائد. إن فتح قلوبنا لاستقبال واستيعاب وجهات النظر المتنوعة يعزز التسامح ويؤسس لمنابر للتعايش السلمي والفهم المتبادل، ويمكن قياس نوعية الحضارة الإنسانية من تعامل فردها بالأجنبي الغريب، فالإنسان الناشئ من حضارة نبيلة يكون سهل التفاهم مع الآخرين.

وتتجلى أسمى صور التسامح الإسلامي في القرآن الكريم في قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ"[سورة الحجرات، الآية 13][1]، وقال تعالى في موضع آخر من القرآن:" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[سورة الروم، الآية 22][2]، نجد الإسلام قد أخبر عن سبب اختلافات الناس وهو تقدير وحكمة الله عز وجل، ولم يتوقف عن هذه النقطة

[1] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص21.
[2] المرجع السابق.

بل علل سبب التنوع وهو للتعارف والتعايش وليس للكراهية واستحقار الغير، وأكد على أن أفضل الناس أقربهم لله فلا يجوز التفاضل والتعالي باللون والجنس والفكر، وفي حجة الوداع أكد النبي – صلى الله عليه وسلم– على هذا حين قال أن لا فرق بين عربي وأعجمي أو أبيض وأسود إلا بالتقوى، وقدم الإسلام دعوات أخرى للتآصر والتآزر والتعارف والتسامح وقبول الاختلاف، ومن الأمثلة العملية تعيين بلال بن رباح الحبشي – وكان أسود اللون – مؤذناً، بل كان أول من تسلق الكعبة ورفع الآذان، حتى أن أشراف العرب صدموا من رؤية رجل أسود يعتلي الكعبة، مما يدل على أحوال العنصرية قبل الإسلام، ونجد صهيب الرومي وسلمان الفارسي –رضي الله عنهم– كلهم من أجناس مختلفة تم استيعابهم دون تفوق جنس على آخر، بل كانوا من أقرب الصحابة الى النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وفي تجربة بلاد الأندلس الإسلامية وصل التسامح في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي استيعاب وزراء يهود ومسيحيين في طاقمه الوزاري.

وفي التعامل مع الآخر قال تعالى: " لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[سورة الممتحنة، الآية 8][1]، فهذه ليست دعوة للتعايش فقط، ولكن للبر والإحسان والقسط لكل من لا يقاتل المسلمين، وانسجاماً مع حسن المعاملة نجد جانب النهي عن السب والشتم في قوله تعالى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ"[سورة الأنعام، الآية 108][2]، بهذه الآية أُمر المسلمون بعدم سب عقائد الغير، حتى لا يعيدوا الإساءة، ومن صور التآخي مع الآخرين هو إباحة مؤاكلة أهل الكتاب ومصاهرتهم والتزوج من عفيفاتهنّ مع ما قُرر في القرآن والعيش بود ورحمة واحترام.

---

[1] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص21.

[2] المرجع السابق، ص21.

إن التشريع الإسلامي كان ولا يزال منهاجاً للهداية الأخلاقية والإنسانية، محققاً الوحدة الاجتماعية مع اختلاف وتعدد وتباين فئات العالم، موقداً مشاعر الإخاء والتسامح والتقبل عند كل مسلم تجاه أخيه الإنسان، داعياً للاعتدال والهدى الروحي والقوة والهيمنة.

بينما تؤمن المسيحية بأن الله خلق الإنسان على صورته، لهذا يقابل المسيحي الآخر بالقبول والمحبة والاحترام، فمحبة الإنسان هي محبة الله، وتؤمن أيضاً بالأسرة البشرية، باعتبار أننا كلنا من أبناء آدم –عليه السلام–، فما أجسادنا إلا أوعية تحمل روحاً من نفس النسل، وتؤكد هذه المحبة في رسالة كورنثوس الأولى: "لَا يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلْآخَرِ"[1]. وللمسيحية صورة أخرى للتسامح، جاء في الكتاب المقدس: "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ"[إنجيل متى7، آية 1 – 2][2] ، وفي موضع آخر يقول الكتاب المقدس: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ"[3]، فهذه الآيات لا تقف عند تقبل اختلاف الآخر، بل تتعدى الى تقبل العدو نفسه والإحسان إليه وإن أجهر بالعداوة والبغضاء، ومن تعاليم المسيحية أن سعة الصدر تجعل الإنسان غير مزاحماً للآخرين، بل يمكن أن يفسح لهم الطريق، وفي حالة عدم اتساع صدرك لشخص معين، يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "من لم توافقك صداقته، لا تتخذه لك عدواً"[4]، ليخط معنىً آخر هو ترك عداوة من لا تتفق معه.

---

[1] الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8، العدد 1، 2022م، ص736.

[2] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص20.

[3] إنجيل متى 5: 44.

[4] مقالات متفرقة لقداسة البابا شنودة الثالث – نشرت في جريدة أخبار اليوم يوم السبت الموافق 24–12–2005، الأنبا تكلا (موقع الكتروني https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/His-Holiness-Pope-Shenouda-III-Books-Online/20-Makalat/1-AkhbarElYom/CopticPope-Articles-076-Th-Other.html).

لكن تختلف نظرة المسيحية للآخر حسب المذاهب، ففي المذهب الكاثوليكي نجد تصريح المجمع الفاتيكان الثاني القائل بأن الأخوة شاملة بين كل الناس هي الرابط الأساس بين علاقة بالله، فجميعنا إخوة وسواسية أمام الله فلا يجوز التمييز بالدين أو العرق أو اللغة[1].

أما المسيحية القبطية الأرثوذكسية، فقد تفردت بمبدأ المحبة الباذلة وهي: "إن تقدم الذات ورقيها ونضجها يكون من خلال حركتها في مجال حركة الآخر"[2]، أي أن النفس ترقى وتنضج بمقدار محبتها للآخر، ويمكن تفسيرها بأن أقصى درجات رقي النفس وتطهرها هي محبة الآخرين كمحبة النفس[3].

بالنسبة للمذهب البروتستانتي، فقد مر بمراحل كان في بادئها يرفض فكرة تقبل الآخر قطعاً، الى أن أتى عصر التنوير وكتاب جون لوك "رسالة في التسامح"، فانتقلت من العداء تجاه الآخر الى الحوار مع الأديان الأخرى.

فيمكن اختصار التسامح المسيحي مع الآخر من منطلقين، الأول هو أن الله خلق البشر على صورته فيتساوى الناس أمام الله مع اختلاف أعراقهم وألسنتهم، والثاني أن المسيح عيسى بن مريم –عليه السلام– مات على الصليب ليخلص جميع البشرية من ذنوبها ويمنحها خلاصها ولم يخص شعباً محدداً، ومن هذا المنطلق أصبحت محبة المسيحي للآخر أمر ضروري للتقرب الى الله[4].

---

[1] الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8 العدد 1 (2022)، ص736.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] المرجع السابق، ص737.

وقد تتشابه الديانتان المسيحية والإسلامية، في أن التعايش بإحسان بينهما مرغوب ومحبب، ولا يقتصر الأمر على التعايش وقبول الآخر فقط، بل على الاستماع وحسن المحاورة، والأمانة في التعاملات المدنية مثل البيع والشراء، والتآخي والتراحم ومساعدة الفرد للآخر، واحترام مبادئه وعقيدته.

والنقيض نجده في اليهودية، بحيث أن جوهر العقيدة هو الإيمان بسمو وعلو بني إسرائيل على سائر شعوب الأرض، والإيمان بأن اليهود وقع عليهم الاختيار الإلهي، وأنهم شعب الله المختار، مما يدل على قدسية اليهود، فقد جاء في التوراة: " إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ"[1]، ومن هذه الآية أتت فكرة انعزال اليهود حفاظاً على نسلهم وتفوقهم وعدم الاندماج مع الآخرين، ويُوصف غير اليهود بالأغيار، وتتكلم التوراة والتلمود عن (الأغيار – Gentiles) بعبارات سلبية وتبرر العدوان تجاههم في بعض المواضع، وتصفهم اليهودية بالوثنيين، وهم الذين مارسوا العنف ضد بني إسرائيل على مدى التاريخ، وتقوم الرقابة الحكومية اليهودية بتضييق الخناق على بعض المصطلحات في التوراة والتلمود التي تُظهر وتدعو للعنف ضد الأغيار، نسبة للظروف التي يعيشها المجتمع اليهودي اليوم في اختلاط مع بقية شعوب العالم متنوع الأجناس والأعراق[2].

ويتميز التلمود عن التوراة بنبرة أشد قسوة وعنصرية على الأغيار، فكما جاء في الموسوعة اليهودية:

- اليهود هم البشر، أما غيرهم فهم ليسوا من البشر، بل وحوش وشياطين

---

[1] الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8 العدد 1 (2022)، ص733.

[2] حفيظ اسليماني، قراءة في كتاب (مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية)، رقية العلواني وآخرين، مؤمنون بلا حدود (موقع الكتروني https://www.mominoun.com/articles).

.[1](Talmud: baba mezia;114 b)

- أرواح غير اليهود جاءت من أرواح غير نقية تسمى خنازير (rubeni gadol 12b)[2].
- يجوز قتل غير اليهودي (sepher ikkarim c 25)[3].

فموقف المجتمع اليهودي في التعامل مع الأغيار لا يتسم بالتسامح وتقبل الآخر، بل نجد المقابل وهو العنصرية والعدوان وانعدام الشفقة ضد باقي الشعوب، ومنبع هذه النظرة الدونية للأغيار هو أنهم نجسون مدنسون ولم يقع عليهم الاختيار الإلهي، ونجد بعض النصوص التي تبيح الكذب والسرقة من غير اليهودي، والمعاملة بالربا محرمة على اليهود لكنهم أباحوها في تعاملاتهم مع الأغيار. وكما ذكرنا آنفاً في المبحث السابق أن أبشع ما يؤمن به اليهود هو اباحة اغتصاب غير اليهودية إذا بلغ عمرها ثلاث سنوات! فلا يمكن أن نجد قيمة التسامح عند أتباع هذه الديانة تجاه الآخر، بل ينحصر داخل المجتمع اليهودي فقط وبين من اختارهم الله فقط، ولا يتعدى للأغيار.

مع أن هذه الأديان أتت من نفس المشرع لكن نجد هذا التباين الكبير بينها، مما يدل على وجود التحريف من إضافة وحذف وتغيير، وعلى كل حال يجب إقامة صلة بين الأديان السماوية فمنبعها الله وهدفها تزكية الإنسان والسعي لنيل مرضاة الله، وعلى أصحاب الديانات أن يعوا لفكرة أنهم عنصر في مجتمع متعدد العناصر، من أديان وثقافات وأعراق ولغات وألوان، وبما أن جميع الأديان تؤمن بعدل وحكمة ورحمة الخالق، فلا يمكن القول أنه خلق هذا التنوع البشري ليطغى قوم على قوم، أو ليختار رفعة شعب على آخر، بل اختلفنا لنتعارف وليمتحننا الله في تقوانا وعدلنا

---

[1] الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8 العدد 1 (2022)، ص733.

[2] المرجع السابق، ص734.

[3] الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8 العدد 1 (2022)، ص734.

وأخلاقنا فيما بيننا، ولابد من منظومة سلوكية تبنى على حسن التعارف والتعايش والإحسان، فالتقارب الأممي والتباين الثقافي والحضاري يستلزمان قيماً عليا كالتسامح والصفح وقبول الآخر.

المطلب الثاني: العفو والصفح

- الفرق بين العفو والصفح:

هما بمعنى في اللغة. قال الراغب: الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الانسان ولا يصفح. وقال البيصاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه. ويدل عليه قوله تعالى: "فاعفوا واصفحوا". ترقيا في الامر بمكارم الاخلاق من الحسن إلى الاحسن، ومن الفضل إلى الافضل[1].

فالعفو والصفح هما قدرة الفرد في المجتمع على تجاوز أخطاء الآخرين والقبول بما يلزم لمحو آثار الخطأ، وترك البغضاء والمشاحنات، وهذا موقف أخلاقي عظيم وهو أساس المجتمع المتحضر، ولا يعني استذلال طرف للآخر فيسترسل في أعماله المشينة، أو بضعف واستسلام فئة أمام فئة أقوى وأقدر منها، أو بالعفو عن ذنب ما زال موجوداً، ولكن بوضع قانون يحكم ويعدل ويساوي بين الجميع، لا يكون هناك ذل عند العفو والصفح، خاصة مع اتاحة القانون فرصة لمعاقبة الجاني، فالعفو والصفح عند المقدرة من أسمى درجات الرقي ونكران الذات والتعايش السلمي والعزوف عن الانتقام والتركيز على رؤية المستقبل.

للمسيحية نص مثير للجدل حول الصفح والعفو، جاء فيه: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ

[1] كتاب معجم الفروق اللغوية، (العسكري، أبو هلال)، ص362.

مَعَهُ اثْنَيْنِ"[إنجيل متى 5، الآية 38–41][1]، فهذه آية عن الصفح وترك الخصومة وعدم مقابلة الشر بشر مثله، ولكن يمكن القول إن بها نوع من التذلل، فكيف أعطي خدي لمن صفعني؟ ومن طمع بردائي فيجب عليّ تركه له، فالسؤال الداعي للتعجب هو، هل هذا عفو وصفح أم تذلل واستحقار؟ هنالك العديد من التفاسير لهذه الآية في التعاليم المسيحية وأقوال متنوعة كثيرة لقديسين في تاريخ الديانة، نأخذ منها رأي القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذا الفعل يقصد به مقابلة الشر بالخير، فليس هناك أفضل من صد فاعلي الشر عن التمادي في شرهم أكثر من مقابلة شرهم بالرقة والتسامح، وأن هذا يعمل فيهم عمل التوبة والندم عن فعلتهم فيصيروا أصدقاء بل حتى عبيداً[2]، فتنظر المسيحية للمخطئ على أنه مريض تدعو له وتصلي لأجله، وتناشد كره المرض وليس المريض نفسه. وجاء في إنجيل لوقا: "وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ"[إنجيل لوقا 6، آية 37][3]، وهذه دعوة أخرى للصفح وطيّ سجل أخطاء الآخرين وعدم الحنين أو الشوق للانتقام وتنقية القلب من آثار المظالم، وهذه هي الوصفة المسيحية للتسامح والمحبة والانسجام مع المجتمعات المختلفة، التي ترقى بالفرد الى أعلى درجات الإنسانية والتحضر، وتؤكد لمعتنقيها أن الانتقام يزيد الروح مرضاً، وشفاء هذا المرض هو في التسامح والتخطي.

أما في الدين الإسلامي نجد أنه قد دعا الى التسامح والصفح عن الأخطاء وجعلها من الفضائل الأخلاقية والمقربات الى الله عز وجل، وبالرغم من أن لفظ التسامح لم يرد في القرآن الكريم، إلا أن معانيه أو ما يفيد أو يدل عليه قد جاء في عدة مواضع في القرآن الكريم توطيداً

---

[1] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص19.

[2] أوتار السماء، تفسير متى 5: 38–39 (موقع الكتروني https://awtar-alsama.com/bible/selected-verses/%D9%85%D8%AA5-38-39/).

[3] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص19.

لهذه القيمة العظيمة في نفوس المسلمين، قال تعالى: " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ"[سورة الشورى، الآية 40]،" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"[سورة الأعراف، الآية 199]، ورسخ مبدأ تنظيف النفوس من أي كراهية عند الصفح والتجاوز التام عن الذنب ونسيان الأحداث والأذى المؤلمين، في قوله تعالى: " فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"[سورة الحجر، الآية 85]، "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[سورة النور، الآية 22]، في الآية الثانية رغّب الصفح بين الناس وجعله سبيلاً للعفو الإلهي، وأكد عز وجل على رفعة مكانة المتسامحين وحبه لهم، قال تعالى: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[سورة آل عمران، الآية 134]، وقال في موضع آخر: "وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"[سورة الشورى، الآية 43]، وقال تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[سورة فصلت، الآية 34]، نجد في الآية الأخيرة تعريف آخر للصفح، فهي نسيان أخطاء وزلات الماضي تماماً حتى يتم التعامل مع المخطئ كأنه صديق حميم، وتفضل الآية دفع السوء بالعمل الحسن، وهنا دلالة حث الإسلام أهله الى التسامح والعفو والصفح، لأن هذا هو السبيل لمجتمع متراحم ودود، يحول العداوة الى صداقة، فيكون غرس للأمان والسلام.

والقرآن ليس مصدر التسامح الوحيد في الشريعة الإسلامية، فللنبي –صلى الله عليه وسلم– الكثير من السنن والمواقف والأحاديث التي تحث على التسامح، فعن عقبة بن عامر –رضي الله عنهم– عنه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال له: (يا عُقبة! صِلْ مَن قطعك، وأعطِ مَن حرمَك، واعفُ عمَّنْ ظلمَك)، وقوله –صلى الله عليه وسلم– : (من ظلم معاهدا أو انتقص حقاً أو

كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا خصمه يوم القيامة)[1]، فالتسامح والصفح ليس لمن يشاركونك عقيدتك فقط، بل لجميع الذميين (المواطنين)، وظلمهم واحتقارهم منهي عنه، وفي موقف آخر عندما مرت جنازة يهودي أمامه –صلى الله عليه وسلم– مع أصحابه قام لها وقال: (فإذا رأيتُمُ الجَنازةَ، فقوموا)[2]، ولم تكتف السنة النبوية بالأقوال فقط في اظهار التسامح، بل كانت نهجاً عملياً أيضاً، فلما فتح النبي –صلى الله عليه وسلم– مكة وحطم الأصنام وجمع من كانوا يؤذونه قبل الهجرة، قال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء[3].ومن عظمة وسمو تعاليم الشريعة الإسلامية أن التسامح لا يقتصر على حالات السلم فقط، بل أنار طريق التسامح في حالات الحرب تخفيفاً لمصائبها، ويمتلئ التاريخ الإسلامي بهذه الأمثلة من المبادئ في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين من بعده، التي تعتبر منارةً للتسامح من معاملة أسرى الحرب ومرضى الأعداء وقتلاهم.

هذه هي القيم التي يغرسها الإسلام في المجتمع، التسامح والعفو والصفح والود والإخاء والإحسان وغيرها من الفضائل التي ترقى بالمجتمع ليكون قوياً متماسكاً كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً، فبدون هذه القيم يكون المجتمع هشاً متنافراً، مقوض البنيان، ضعيف الدعائم، يكره أفراده بعضهم البعض فيغيب الأمن الاجتماعي وتنتشر الظواهر السلبية.

بالمقابل نجد الديانة اليهودية قد افتقرت لهذه القيم، وبوجه الخصوص تطبيقها على الأغيار، فعند مراجعة التوراة والتلمود نجد أن القيم الأخلاقية فقط لتعامل اليهود فيما بينهم ولا يمتد التسامح ليشمل الآخرين، فقد ذكرت الوصايا السادسة والسابعة والثامنة على التوالي: "لا تقتل"، "لا

---

[1] رواه أبو داود، رقم 3052.

[2] أخرجه البخاري (1311)، ومسلم (960)، والنسائي (1922) واللفظ له، وأحمد (14427).

[3] تاريخ الطبري ج: 2 ص: 161، ص128.

تزن"، "لا تسرق"[1]، ونجد التلمود قد أجاز قتل واغتصاب والسرقة من الأغيار، جاء في التلمود: "اقتلوا الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدا من باقي الأمم من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين"[2] ويقول أحد كبار المفسرين الحاخام (راشي)[3] أن يلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثني المذكور منها (أي من الحفرة)[4]، ويقول إسرائيل شاحاك[5]: أن التعاليم اليهودية أباحت لليهودي السرقة من الأغيار (إن سطو اليهودي على غير اليهودي غير محظور بلا تحفظ بل يحظر فقط في حروف معينة مثل عندما لا يكون الاعتبار تحت حكمنا ويسمح به إذا كانوا تحت حكمنا)[6].

---

[1] القيم الأخلاقية في قوانين التوراة في ضوء نظرية مصادر التوراة والقرآن الكريم، منى علي، المجلس الأعلى للتعليم في قطر، ص388-394.

[2] التلمود – أقدس المصادر للديانة اليهودية على الإطلاق، واوجبها للعمل، ص235، أرشيف ملتقى أهل الحديث.

[3] راشي: من أعظم المفسرين دون شك وهو ريبينو ايتزحاكي عاش في القرن الحادي عشر وقد درس في أكاديميات مختلفة من ألمانيا وفرنسا، وكان غزير الإعمال ونشيطا. في كثير من المجالات وكان تلميذاً من تلاميذ غير شوم. ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان ٥، ١٤٦، نظام العقوبات في الديانة اليهودية – المجلد 1 – الصفحة 10 – جامع الكتب الإسلامية (موقع الكتروني https://ketabonline.com/ar/books/97961/read?part=1&page=10&index=1786393/1786395).

[4] نظام العقوبات في الديانة اليهودية – المجلد 1 – الصفحة 10 – جامع الكتب الإسلامية (موقع الكتروني https://ketabonline.com/ar/books/97961/read?part=1&page=10&index=1786393/1786395).

[5] إسرائيل شاحاك: هو إسرائيلي بولندي. ولد في وارسو في بولندا، وهو من الناجين من محرقة الهولوكوست. عمل محاضراً في الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس. وهو رئيس سابق لأحد الجمعيات الإسرائيلية المعنية بحقوق الإنسان والحقوق المدنية. عرف عنه نقده الصريح للحكومة الإسرائيلية وللمجتمع الإسرائيلي على وجه العموم. كما أن كتاباته حول اليهودية أثارت الكثير من الجدل، وقد وصفه البعض بالمعاداة السامية على إثرها. – ويكيبيديا (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%B4%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D9%83).

[6] نظام العقوبات في الديانة اليهودية، لؤي عبد الحميد شنداخ، بحث مستل من رسالة الماجستير، المجلد 1، الألوكة، 2016م، ص 26.

فالعجب العجاب هنا كيف تسامح وتصفح عن شخص أُحل لك قتله؟! وإذا لم يكن القتل فعلاً شنيعاً في نظر شخص ما، بل مقربة الى الرب، فكيف يمكن أن يسامح تقرباً لله؟! إذا نجد أن التسامح أو القتل قد تساويا بلا فضل خيار على الآخر، وأن مفاهيم التسامح وتقبل الآخرين والعدالة الاجتماعية والحوار والتفاهم محصورة فقط بين اليهود ولا يمتد تطبيقها للأغيار، وهذا يلغي التسامح من أصله وتصبح التعاليم الأخلاقية – الأخلاق قبل الشريعة، وتحب لغيرك ما تحب لنفسك – بلا قيمة، فهذا يجسد معنى انعدام احترام إنسانية الغير، والذي يؤدي الى تصاعد التوترات وبناء حواجز أمام التفاهم المتبادل والتعاون بين فئات المجتمع المختلفة، فيضر بدوره تطور المجتمع ثقافياً واقتصادياً وأمنياً، فسؤال آخر يطرح نفسه، كيف يكون المجتمع عديم التسامح؟ وماذا يحدث للفئات التي تم إقصاءها وعدم تقبلها واستيعابها؟

مجتمعات عديمة التسامح:

انعدام التسامح يعني طغيان التعصب وانتشار عقلية تجريم الاختلاف، وعدم قبول الآراء المغايرة أو السلوكيات الثقافية والحضارية التي قد تكون مختلفة عن العرف السائد، ويسبب انعدام التسامح التوترات الاجتماعية الأمنية، ويمكن أن يكون تعصباً فكرياً، أو دينياً، أو عرقيّاً.

المطلب الأول: انعدام التسامح الفكري

خلال القرون الوسطى، كان هناك تاريخ طويل من حظر الكتب ومعاقبة الأفكار التي لا تتفق مع الرأي الديني أو السياسي أو قد تعتبر تحديًا للسلطة الحاكمة في تلك الحقبة، وتم قمع الآراء المختلفة ومحاولة منع انتشار الأفكار الجديدة، مثل كتاب (في مديح الحماقة – In Praise of Folly) للكاتب الساخر (ديسيدريوس إيراسموس – Desiderius Erasmus) عام 1511م الذي

احتوى على انتقادات للكنيسة اللاتينية ومظاهر فسادها[1]، وكتاب (إنجيل ويكليف – Wycliffe Bible) للكاتب (جون ويكليف – John Wycliffe)، الذي أراد أن يوفر الكتاب المقدس للطبقة العاملة في بريطانيا في مطلع القرن الخامس عشر، وكانت الكنيسة آنذاك تحتكر الكتاب المقدس باللاتينية وتمنع الرعاة من تعلمها، فلم يكن يجيدها إلا رجال الدين والأكاديميون، فسعى (ويكليف) لتوفير ترجمة للمزارعين البسطاء، لكن سرعان ما لاقت ترجمته انتقادات من الكنيسة سنة 1407م وتم حظر الكتاب بالقانون بواسطة رئيس الأساقفة، وفي عام 1415م تم تصنيفه كمهرطق، وتم حرق جثته ورميها في نهر عام 1427م[2]، وكما الحال مع جثة (ويكليف)، فقد شهدت أوروبا في عصر النهضة محاكمات الهرطقة، كانت مثالاً لانعدام التسامح الفكري، حيث يتم اتهام الأشخاص بمخالفة عقيدة الكنيسة، مثل اعدام (غاليليو غاليلي) سنة 1633م، لدعمه نظرية كوبرنيكوس القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس، مخالفاً فكرة الكنيسة الكاثوليكية بكون الأرض مركزاً للكون[3]، و(توماس مور – Sir Thomas More) بعد رفضه التحلي بالولاء للملك هنري الثامن، لاستنكاره طلاق الملك من زوجته، وعد قبوله كرئيس للكنيسة في إنجلترا، فاعتبرته الكنيسة الكاثوليكية مهرطقاً وتم إعدامه، وفي نفس السياق، انتشرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر محاكمات للساحرات في أنحاء أوروبا، حيث تم اتهام الأفراد وخصوصاً النساء، بالتعاون والتعامل مع الشياطين أو ممارسة السحر[4].

---

[1] ONLINE LIBRARY OF LIBERTY, Erasmus on the "Folly" of upsetting conventional opinion by pointing out the sins of kings and princes (1511), website (https://oll.libertyfund.org/titles/erasmus-in-praise-of-folly).

[2] Antique bible, Wycliffe Bible: An Early English Translation, website (https://www.antiquebible.com/wycliffe-bible-an-early-english-translation).

[3] الجزيرة (aljazeera.net)، إيطاليا، غاليليو غاليلي.. العالم الإيطالي الذي حاربته الكنيسة بسبب اكتشافاته، (موقع الكتروني).

[4] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محاكمات السحر في سالم، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

وخلال العصور الحديثة، شهدت بعض الدول حملات للاعتقال السياسي بناءً على الآراء السياسية المختلفة، تم قمع الأفكار السياسية المعارضة واعتبارها تهديدًا للنظام الحاكم، مثل اعتقالات واعدامات الثورة الفرنسية، وممن تم اعدامهم (كامي ديمولان، وجورج دانتون)[1]، وتعسف الاتحاد السوفيتي في عهد (ستالين)[2]، وسجن شباب الاتحاد الأيرلندي بدون علم المحكمة أثناء المجاعة الكبرى في ايرلندا[3]، ومعسكرات اعتقال النظام النازي الألماني للمعارضين السياسيين والمجرمين وحتى المعاقين[4].

المطلب الثاني: انعدام التسامح الديني

تاريخ البشرية شاهد على العديد من أمثلة انعدام التسامح الديني، حيث قامت العديد من الحضارات والأديان والمجتمعات بمظاهر انعدام التسامح تجاه الآخرين بسبب اختلافاتهم الدينية، ففي مطلع العصور الوسطى في أوروبا خلال فترة الصراعات الصليبية، شهدت أوروبا صراعات شرسة بين المسيحيين واليهود والمسلمين في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا، كان انعدام التسامح الديني واضح المعالم، وكثيراً ما شهدنا أعمال عدائية وحروباً ومجازر بسببها، استهدف فيها الصليبيون القدس ومصر وتونس ومنطقة البلقان وشمالها، ومن صور التناحر الديني، الحملات مسيحيي الطوائف غير الكاثوليكية[5]. وفي بدايات العصر الحديث في أوروبا، خلال فترة الإصلاح الديني في القرون السادسة عشر والسابع عشر، شهدت أوروبا الغربية حروبًا دينية عنيفة بين

---

[1] الجزيرة (aljazeera.net)، الثورة الفرنسية.. الجذور والأسباب والنتائج، (موقع الكتروني).

[2] المرجع السابق، ميديا بارت: هكذا استطاع ستالين وبسرعة القضاء على وباء ضرب موسكو عام 1939، (موقع الكتروني).

[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تمرد الشباب الأيرلندي 1848، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[4] المرجع السابق، معسكرات الاعتقال النازية، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[5] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، حملات صليبية، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki).

البروتستانت والكاثوليك، مثل حرب الثلاثين عامًا (1618–1648م) التي تسببت بدمار مناطق كثير وانتشار الأمراض والمجاعات، وفقدت فيها ألمانيا 30% من سكانها تقريباً[1]. كانت هذه الحروب مصدرًا للانقسام والعداء الديني، والحرب الطائفية في العراق بين السنة والشيعة بعد احتلال العراق، شهدت أعمالاً إرهابية وتفجيرات عشوائية أودت بحياة عشرات الآلاف من الأبرياء[2]، ومن أعنف وأقسى الأحداث محاكم التفتيش الإسبانية، التي منعت المسلمين واليهود من ممارسة دينهم، بل اجبارهم على اعتناق المسيحية قسراً، ولا مقابل إلا التعذيب الوحشي لمن يرفض أو يمارس ديانة أخرى[3]، ومن الأمثلة المعاصرة المؤسفة معسكرات اعتقال سنجان، التي يعتقل فيها مئات الآلاف من الأقليات منهم مسلمي الإيغور وأقلية مسيحية، وتتحفظ بهم دون محاكمات أو تهم من أهدافها منع الانفصاليين الإيغور من تكوين دولة تركستان الشرقية، كما يتم أخذ أطفال المسلمين وفصلهم عن ذويهم لتلقينهم التعاليم الصينية البوذية، مانعيهم من تعلم ثقافاتهم وأديانهم، وتتحجج الصين بأن الغرض من هذه المعسكرات هو محاربة التطرف والإرهاب[4]، هذه الأمثلة تظهر كيف يمكن للاختلافات الدينية أحياناً أن تؤدي إلى تصاعد التوترات والنزاعات، وتبرز أهمية التسامح الديني في بناء مجتمعات سليمة وفعالة ومتنوعة ومترابطة.

المطلب الثالث: انعدام التسامح العرقي

تتجلى العنصرية من خلال التفرقة بين الأعراق والتمييز على أساس اللون والمنشأ، من أوضح الأمثلة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا (1948–1994م)، في عام 1948م،

---

[1] المرجع السابق، حرب الثلاثين عاماً، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki).

[2] المرجع السابق، الحرب الأهلية العراقية (2006–2008)، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/_(2006-2008)).

[3] الجزيرة (aljazeera.net)، كيف أذابت محاكم التفتيش أجساد المسلمين؟، (موقع الكتروني).

[4] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، معسكرات الاعتقال في سنجان، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki).

أقرت حكومة جنوب أفريقيا المتمثلة بالأقلية البيضاء سياسة الفصل العنصري – التي تعرف باسم "الابارتايد"– ضد الأكثرية السوداء، كانت هذه السياسة تفرق بين السكان بناءً على العرق، حيث كانت الأقلية البيضاء تتمتع بامتيازات كبيرة بينما كان السكان السود يحرمون من حقوقهم البسيطة الأساسية وكانوا يعانون من التمييز والظلم في كل المؤسسات والمرافق العامة[1]، وما يشابه هذه الأحداث في زماننا هذا هو نظام الفصل العنصري في فلسطين المحتلة، حيث يقوم الاحتلال الإسرائيلي بانتهاكات كثير لحقوق الإنسان ضد الفلسطينيين، مثل التهجير القسري، ومصادرة الممتلكات، والاعتقالات بدون تهم والقتل العشوائي وغيرها من الانتهاكات[2]، ونظام العبودية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استغلتها النخبة الأوروبية كوسيلة لاسترقاق الأفارقة السود وترحيلهم عبر الأطلسي، ويعتمد نظامهم الاقتصادي والاجتماعي على فكرة تفوق العرق الأبيض على العرق الأسود، مما أدى إلى تفرقة واستبداد غليظين[3]، وخلال الحكم النازي في ألمانيا، تعرض اليهود لأحد أبشع أشكال التمييز والاضطهاد، حيث صرح الحزب النازي بنيته فصل اليهود عن مجتمعاتهم "الجنس الآري"، ثم في قانون لاحق، تجريدهم من جنسية الرايخ الألماني، قتل الملايين من اليهود بمختلف الطرق الشنيعة، في محاولة للتقليل من أعدادهم بناءً على معتقدات عنصرية مرتبطة بالتفوق العنصري الآري[4]، وتعرض الأقلية المسلمة في ميانمار للاضطهاد والتمييز والقتل الوحشي، وقامت الحكومة والجيش بفرض سياسات ظالمة تقييدية على هذه الأقلية مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة منهم وتركهم منازلهم خوفاً من العواقب، وتعتبر أقلية الروهنغا من أكثر الأقليات

---

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، أبارتايد، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[2] المرجع السابق، إسرائيل والفصل العنصري، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، العنصرية في الولايات المتحدة، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki).

[4] موسوعة الهولوكوست، العنصرية النازية، (موقع الكتروني
https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/nazi-racism).

تعرضاً للاضطهاد، فلا يتم منحهم جنسية البلاد اتهاماً لهم بأنهم لاجئون من بلاد أخرى، وفي عام 2017 شهدت هذه الأقلية حملة عسكرية أدت الى قتل واغتصاب جماعي وحرق للممتلكات والمنازل والقرى[1].

تشترك جميع أنواع انعدام التسامح على فكرة تفوق فكرة أو دين أو مذهب أو عرق على كل نظائره، فيشعر صاحبه باستعلاء على كل المختلفين عنه، وينشأ احتقار لكل من لا يشابهه يزداد مع الأيام شيئاً فشيئاً حتى يهون لدى المستعلي دم الآخر ويرى ضحاياه دون الإنسانية، وقد يصورهم بأنهم أقل من الحيوانات، فيستبيح أعراضهم ودمائهم وهم مرتاح البال، وتساعد الدولة بإعلامها وسلطاتها انتشار الأفكار الداعية لاستحقار الآخر بتداولها على منصاتها وقنواتها، حتى تنشأ كارثة إنسانية حضارية تودي بحياة الأبرياء.

المبحث الثاني: مبادئ قيم التسامح في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

بعد صراعات دامية شهدها العالم لعصور مديدة، وتاريخ طويل من انعدام التسامح وانتشار القومية والعصبية والعنصرية والطائفية، وبالرغم من وجود مواثيق وقوانين في الحضارات السابقة، كشريعة حمورابي، والقانون الأشوريّ، والمصريّ، والإغريقيّ، إلا أن هذه القوانين لم تكفل للإنسان حقه كاملاً، أو انحازت الى طبقية أو عنصرية أو جنسية، فلم تنصف كل طبقات وفئات المجتمع، أما في العالم الحديث فقد اجتمعت الدول تحت كيان واحد يسمى بالأمم المتحدة، الذي يضم الآن 193 دولة، للاتفاق على مبادئ عديدة من بينها التسامح، تم تجميع هذه المبادئ والضوابط من أديانٍ، وأيدولوجيات مختلفة انتشرت عالمياً على مدى قرنين من الزمن، منذ اصدار الفيلسوف الانجليزي جون لوك لكتابه (رسالة في التسامح)، وإصدار فولتير كتاباً بنفس العنوان من بعده.

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، روهنغيا، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/)

وفي عام 1945 عقب نهاية الحرب العالمية الثانية اهتمت الأمم المتحدة بتعميم مبادئ التسامح، نظراً لما شهده العالم من دمار وخراب وسفك للدماء، جاء في ديباجة ميثاقها: (نحن شعوب الأمم المتحدة اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش في سلام وحسن جوار)[1].

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م:

يعتبر أهم وثيقة عالمية حضارية قيمة، تناولت المادة الأولى منه مفهوم التسامح والإخاء ونصت على: (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء)[2]، وتقول الفقرة الثانية من المادة (26) منه: (يجب أن يعزز التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيد الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المتحدة لحفظ السلام)[3]، يعتبر التعليم من أهم الأنشطة التي تربي وتنمي شخصية الفرد، وتعزز التسامح والإخاء والتفاهم بين جميع الفئات المختلفة والمتباينة ثقافياً أو دينياً، أو إثنياً.

ثم تطورت واتسعت مفاهيم التسامح حتى دخلت العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية 1966م منذ الستون سنة الماضية، الذي تناول القضاء على كل أنواع التمييز العنصري والجنسي، وحقوق الطفل، ومناهضة التعذيب والتعصب الديني، وجاء في ديباجته: (أن من الجوهري تعزيز التفاهم والتسامح والاحترام في الشؤون المتصلة بحرية الدين أو المعتقد)[4]، ومنعت المادة الثانية جميع أشكال التمييز ضد الأطفال قائلة: (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير

---

[1] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص22.

[2] الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م، ص104.

[3] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص22.

[4] الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م، ص105.

المناسبة لتكفل للطفل الحماية من جميع أشكال التمييز أو العقاب القائم على أساس مركز والدي الطفل أو الأوصياء القانونيين عليه أو أعضاء الأسرة، أو أنشطتهم أو آرائهم المعبر عنها أو معتقداتهم)[1]، تنص المادة (13) منه على حق كل فرد في: (توثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين الأمم ومختلف الفئات السلالية أو الإثنية أو الدينية، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم)[2].

وفي عام 1996م أُجيز إعلان مبادئ التسامح، وكان هذا الإعلان قفزة دولية مهمة وتقدماً لمفهوم التسامح، حيث عرّف التسامح بأنه: (الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا)[3]، ويتنامى هذا التسامح بالتعارف والانفتاح للتقارب المجتمعي وحرية الضمير والمعتقد، ويواصل الإعلان قائلاً عن التسامح: (إنه الوئام في سياق الاختلاف وليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما واجب سياسيّ وقانونيّ)[4]، وفصّل هذا الإعلان مبادئ التسامح في المادة الأولى منه، وشرحت المادة الثانية أدوار الدول في تطبيق هذه المبادئ، وناقشت المادة الثالثة المحاور الاجتماعية والاقتصادية لمبادئ التسامح، وتطرقت المادة الرابعة الى أهمية التعليم ودوره في ترسيخ مبادئه للأجيال القادمة، ونصت المادة الخامسة على إلزام الأمم المتحدة بتطبيق هذه المبادئ، وتم إعلان السادس من نوفمبر من كل عام يوماً عالمياً للتسامح كما جاء في المادة السادسة[5].

---

[1] نص اتفاقية حقوق الطفل، منظمة اليونيسف، (موقع الكتروني https://www.unicef.org/ar/)

[2] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص23.

[3] الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م، ص105.

[4] المرجع السابق.

[5] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص23.

فالتسامح في المواثيق الدولية يعني الاعتراف باختلاف البشر واحترام هذا الاختلاف الطبيعي، وتقدير هذا الثراء الثقافي والتباين الفكري بل والنظر إليه كمورد مهم يجب الحفاظ عليه، ولكي يُعزز التسامح، لابد من الاهتمام بتعليمه في المدارس من الصغر، وحث المجتمعات على قبول هذا الاختلاف الحضاري والديني والإثنيّ، وفرض قوانين على مستوى الدولة لاحترام كرامة الإنسان الآخر، الذي يختلف في وجهات نظره ومعتقده وعرقه، إذا فهي مسؤولية الجميع على كل مستويات سلطات الدولة، ومختلف طبقات المجتمع.

وأخيراً، في الدورة السبعين للأمم المتحدة عام 2015م، تقررت خطة التنمية المستدامة 2030م، جاء في فقرة الرؤية: (نحن نصبوا إلى عالم يسود كافة أرجائه احترام حقوق الإنسان وكرامة الإنسان وسيادة القانون والعدالة والمساواة، وعدم التمييز، عالم يحترم الأعراف والانتماء الإثني والتنوع الثقافي ... عالم قوامه العدل والإنصاف والتسامح والانفتاح والإشراك الاجتماعي للجميع وتلبى فيه احتياجات أشد الفئات ضعفاً)[1]. وهذه الخطة المستدامة تسعى لإنهاء الفقر وعدم المساواة والحفاظ الاقتصاد القوي والبيئة النظيفة، وبها تعزيز وتثبيت لمبادئ التسامح وقبول الآخر.

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م[2]:

دعا الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي الى حوار عالمي للحضارات عام 2000م، الذي كان رداً على نظرية صراع الحضارات، فبعد التاريخ المؤسف للبشرية المليء بالصراعات، تنبأ هنتنغتون بمزيد من الصدامات في نظريته "clash of civilizations"، وتفادياً لتكرار الماضي الدموي بنسخ

---

[1] التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م، ص23.

[2] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013

اقتصادية أو اجتماعية تبلورت فكرة حوار الحضارات، التي تقر بأن الحوار كان حاضراً في التاريخ البشري، وتشدد على الانبعاث العالمي للتعددية الثقافية والدينية في السياسة العالمية، وتعرف السعي الى الأصالة الثقافية بأنه القضية السياسية الرئيسية التي تؤثر على العلاقات بين الحضارات.

ولأن المجتمعات عديمة التسامح تشعر بالتهديد من الاختلاف، وتتوجس من التنوع، يقول الرئيس محمد خاتمي أنه بمجرد أن يتغلب الناس على نقص المعرفة والأحكام المسبقة عن الآخرين، فسوف تختفي الآراء المتحيزة والقوالب النمطية، ولن يعد "الآخر" يشكل تهديدا، بل فرصة تقدم وجهات نظر مختلفة للعالم. لذلك فإن الحوار مهم جداً مع أولئك الذين يرون التنوع والاختلاف تهديداً جوهرياً، ويكون ضرورة ملحة لتشكيل علاقات صحية بين الحضارات، ومع غياب هذا الحوار فسيصبح المستقبل مكاناً أقل احتمالاً أن نريد العيش فيه.

وفي سياق العولمة، أصبحت التعددية الحضارية جزءًا من الحياة اليومية – ويرجع ذلك أساساً إلى التطور السريع لتكنولوجيا الاتصالات وشبكات التواصل الاجتماعي. ونتيجة لهياكل المعلومات والاتصالات المعولمة، يوجد عدد كبير من الكيانات الحضارية في وقت واحد، وأصبحت على نحو متزايد على وعي ببعضها البعض. هنا تأتي أهمية الحوار واستصلاح الأرضية للبدء به، فبدل التوجس والمراقبة عن بعد، يتم اصلاح المفاهيم ومشاركة وجهات النظر لتفادي الصدام.

ويقول أيضا: إن الترياق الوحيد لـ "صدام الحضارات" الذي يلوح في الأفق على المستوى العالمي سيكون نشر التنوير بالمعنى الفلسفي الحقيقي، والمساهمة في خلق الوعي المتبادل لحضارة كل منا من خلال سياسة منهجية للحوار، ويكون الهدف الرئيسي منه تحسين وإعادة تعريف التنوع، وتعزيز التفاهم بين الشعوب والعلاقات عبر الثقافات، ومكافحة التحيز، ومنع الصراعات، وبناء السلام الدائم، ويكون ذلك عبر الحوار الشامل المانع للصدام.

ويقترح محمد خاتمي اتباع نهج يقدر الترابط الثقافي والسياسي والاقتصادي، ويجعل العلاقات بين الحضارات عنصراً محدداً في السياسة الخارجية، وفي عصرنا الذي يتسم بالترابط العالمي، لا يمكن تصور تأكيد الهوية الثقافية إلا على أساس الاحترام المتبادل وقبول التنوع، لأن العقلية الأحادية المتعجرفة، التي كانت في الحقبة الاستعمارية، أثبتت فشلها في احترام وقبول التنوع.

تعتمد الثقافات، وبشكل أعم، الحضارات على بعضها البعض من أجل تطوير هويتها بشكل كامل والوصول إلى حالة من النضج والأهمية على نطاق عالمي، فالتسامح شرط أساسي لتطور الحضارة وتقدمها، وهنا يأتي دور المبدأ الأخلاقي الأساسي المتمثل في التبادلية (الاعتراف المتبادل)؛ لكي يكون الفرد متسقًا في مطالبته بالحق في أن يتم قبوله أو التسامح معه على قدم المساواة من قبل الآخر، يجب على المرء أن يوافق أو يمنح هذا الحق للآخر، هذا المبدأ المعياري له حالة (metanorm)، وهو أصل فلسفة "التعايش السلمي بين الحضارات".

ومن أجل "ممارسة التسامح والعيش معًا في سلام مع بعضهم البعض وحسن الجوار"، يجب على المجتمعات أولاً أن تفهم بعضها البعض، أو أن تقدر أسلوب حياة بعضها البعض وهويتها الاجتماعية والثقافية. وهذا ممكن فقط إذا كنا على دراية بثقافاتنا وتقاليدنا وأنظمة القيم المتميزة لدينا.

ويقول خاتمي: يجب على كل حضارة أن تقبل الحقيقة الأساسية المتمثلة في وجود الحضارات الأخرى في وقت واحد بكل أنظمة القيم والمعتقدات والعادات الاجتماعية المختلفة وما إلى ذلك

إن قبول التعايش كمعيار أساسي للحفاظ على السلام والاعتراف بهذا المعيار كقيمة تتقاسمها جميع المجموعات الحضارية بغض النظر عن أنظمة القيم الخاصة بها لن يكون إلا

خطوة أولى ولكن خطوة أساسية نحو تطوير إطار فلسفي شامل وموقف اجتماعي إيجابي تجاه حوار حقيقي بين الحضارات، فلا يمكن التغلب على التهديد العالمي المتمثل في التعصب العدواني إلا من خلال "ثقافة التسامح الجديدة" كجزء أساسي من حوار الثقافات.

وينبغي قبول التنوع الإنساني الثقافي كفضيلة عالمية والاحتفاء به، فالشعوب متحدة بمصيرها المشترك أكثر من تفرقها بهوياتها المتفرقة إن حوار الحضارات، داخل الحضارات والثقافات والمجموعات وفيما بينها، يمكن أن ينتصر على الخلاف ويساعد على تحقيق السلام والرخاء المستدامين.

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م[1].

اقترح رئيس الحكومة الاسبانية (خوسيه لويس رودريغيز ثاباتيرو) تحالف للحضارات بين الشرق والغرب، وقال إن بلاده شهدت أعمال عنف وارهاب وحشيين، وأنه يعتزم توكيل مهمة القيام بهذه المبادرة للأمين العام للأمم المتحدة. وأشار أنه بعد هدم جدار برلين وانتهاء عصر صعيب، لا يود تكرار نشر الكراهية مع العالم العربي، ويرحب بحوار للتسامح والسلام[2].

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان[3] ووثيقة الأخوة الإنسانية[4]:

توافقت رابطة العالم الإسلامي مع نخبة من القيادات والمؤثرين حول العالم على نشر مبادئ التسامح ونبذ العنصرية، واتحدوا على إثراء النوع الإنساني باختلافاتهم وتقبل التنوع والاستفادة

---

[1] Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.

[2] Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.

[3] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.

[4] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة.

منه في تطور الحضارة الحديثة، ودعوا الى الارتقاء بالقيم الإنسانية وتجريم خطابات الكراهية التي تفكك المجتمع وتضيع مبادئ الإخوة الإنسانية.

وأكد الحاضرون على تفهم اختلاف الناس في عقائدهم وأعراقهم وثقافاتهم واعتبار هذا التنوع مورد غني، فكل الناس يرجعون الى أصل واحد بتكريم إلهي، وشرّكنا الله في إنسانيّتنا بحكمته، فهذا أول الأسباب لإشاعة المحبة والتسامح والتفاهم، ومن أهم ضروريات وحدة الأسرة البشرية هو التعايش والتلاحم، والابتعاد عن النظرات الدونية للآخرين، ومواجهة خطابات الكراهية والعنصرية بالردع، فهما أسهل طريق نحو الإرهاب والعنف. ودعا الحضور الى التحلي بالسماحة والقبول بالتعددية، وحفظ كرامة الإنسان واحترام فكره ودينه وعرقه، وتجاوز العداوات التي تحصل بسبب الاختلافات التي تنشأ بسبب الجهل أو الاستعلاء على الآخر.

وأوصى الحضور كل الإنسانية على الاعتراف بتعدد الثقافات وتنوع الناس، هذه الاختلافات التي نشأت نتيجة التجارب المختلفة للحضارات وتراكم خبراتها، ودعا الحضور الى الاستفادة من هذه التجارب والدروس العالمية واستخدامها لزيادة الإثراء الحضاري، وأكدوا مسؤولية المؤسسات الوطنية بالقيام بكل ما يضمن نشر القيم الإنسانية والابتعاد عما يزيد من العنف ويؤجج الصراعات ويؤدي للصدامات والانقسامات، ومراقبة الإعلام والأخبار المضللة والكاذبة، ودعوتهم للتصدي لجميع صور التمييز والإقصاء خصوصاً ضد الأقليات، التي غالباً ما تزهق حقوقها في المجتمعات العنصرية، وتشريع قوانين لمنع مثل هذه الأساليب السالبة، بل وضمان وجود تشريعات تعزز قيم التسامح والقبول.

وفي وثيقة الأخوة الإنسانية أعلن الشيخ أحمد الطيب والبابا فرانسيس التزامهم بما جاء في الوثيقة وطالبوا ذوي السلطات على العمل جدياً على نشر ثقافة التسامح والتعايش والسلام، ودعيا

جميع القادة الى اكتشاف قيمة السلام الإلهي، أساس العدل والأخوة ومبدأ العيش المشترك، حيث أن اختيار اسم الوثيقة جاء إيماناً بتكريم النفس البشرية الطاهرة التي حرم الله إزهاقها[1].

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التسامح بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

إن التسامح كما ذكرنا سابقاً، لابد منه للتقدم والتحضر، فلا يمكن توقع شيء في حالة انعدام التسامح إلا الحروب والاقتتال بين المختلفين في مجتمع معين، سواء كان ذلك الاختلاف دينياً، أو إثنياً، أو فكرياً، ولا ينتج عن هذه الصراعات سوى الدمار والخراب والتخلف عن الركب الحضاري، وقد ذكرنا أن التسامح يمكن أن يعني قبول الآخر والتعايش مع، أو العفو والصفح عن الأخطاء.

المطلب الأول: استنتاجات قيم التسامح في المرجعيات الدينية

كان الإسلام رائداً في بلورة قيم التسامح بكل معانيها وشرحها وبيان فضلها وجعلها من عِظَم الأمور، فالقرآن والسنة مليئان بنماذج لهذه القيم الجليلة، فيحث على تقبل الآخرين، ويؤكد مبدأ الأخوة الإنسانية، ويعلل بأن جميع البشر من ذرية آدم –عليه السلام– ، ويشرح بأن سبب هذا الاختلاف بين ألوان وأعراق وألسنة الناس هو آية من آيات الله وحكمة من حكمه، ولا فضل أحد على آخر إلا بتقواه، فلا تفضيل لجنس أو لون، ويزيد بدفع الناس لتجاوز هذه الاختلافات والتعارف والتعايش مع بعضهم البعض، والإحسان للمختلفين عنا وعدم مضايقتهم أو سب آلهتهم والتقليل من شأنهم، بل معاملتهم ببر وخُلُق، ومخالفة هذه الوصايا توقع المسلمين في حرج يوم

[1] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة، ص2–3.

الحساب، فقد ساوى النبي –صلى الله عليه وسلم– بين إيذاء الذميين وإيذاءه هو، وتفضل الإسلام بإباحة الزواج من غير المسلمات من أهل الكتاب، ومساكنتهم، ومؤاكلتهم.

كما يُعظّم الإسلام من أجر العفو والصفح عن الناس، وتم ذكر الآيات والأحاديث التي تحمل هذا المعنى سابقاً، ويحث القرآن المسلمين بالصفح والعفو وشبهه بمحبة المسلمين أنفسهم للعفو والصفح عنهم، فالإسلام يهتم ببناء مجتمع قوي البنيان متعاضد الأركان، لا يتأثر ولا يتعرقل بالاختلافات البشرية، لكي ينشر الود والإحسان والتآزر والتلاحم بدون عقبات إثنية، أو فكرية، أو دينية.

وفي التاريخ الإسلامي نجد ظواهر التسامح واضحة جلية، لا تخفى حتى على أعداء الإسلام الذين يحاولون طمسها بالقوة، فبدءً بفتح مكة عفا النبي –صلى الله عليه وسلم– عمن آذاه وأساء إليه أيام دعوته فيها، وتقبل المسلمون رؤية بلال الحبشي يصعد الكعبة ليؤذن أو أذانٍ فيها، بلا تفوق عربي أو رفض عنصري، وقيامه –صلى الله عليه وسلم– بمعاهدات مع اليهود في المدينة تضمن التعايش بينهم وتحفظ حقوقهم، ومبادرة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– بإنشاء حي لليهود بعد فتح بيت مقدس، ورفضه فكرة احتكار المسيحيين للقدس وطرد اليهود منها، وأيضاً تعايش المسلمين في بلاد الأندلس مع غير المسلمين في سلام وتعايش حسن دون منازعات إثنية أو دينية، وغير هذه الأمثلة من التاريخ الإسلامي التي تظهر اتباع المسلمين لتلك القيم الربانية العليا، التي نهضت بالحضارة الإسلامية وجعلتها منارة للعالم في وقتها ورحماً نضُجت فيه الحضارة الغربية.

وللمسيحية نظرة أخرى عن التسامح، فهي تبشر أتباعها بأن الله خلق البشر على صورته بالرغم من اختلاف الأشكال والألوان والأعراق، وترسم مبدأ الأخوة الإنسانية بأننا كلنا أبناء لآدم، وتحث أتباعها على العفو والصفح بإدارة الخد الأيسر لمن لطمك على خدك الأيمن، ومحبة الأعداء

ومقابلة السوء بالإحسان ومباركة اللاعنين، وتتفق جميع الطوائف المسيحية الثلاث الأساسية، التي تشمل معظم المسيحيين، على مبدأ قبول الآخر والتعايش معه، وتؤمن بأن المسيح ضحى بحياته في سبيل خلاص جميع الإنسانية، فالصورة النمطية للمسيحية هي بأنها ديانة حب وتسامح وتتقبل الجميع وتدعو البشرية جميعاً بدون تفضيل عرق على آخر لقبول المسيح مخلصاً لنيل الحياة الخالدة.

ولكن التاريخ المسيحي يكاد يخلو من التسامح في تطبيق المسيحيين له، فأوروبا عايشت الكثير من الحروب الطاحنة والدموية بين الطوائف والمختلفة ولم تعايش تسامحاً وتقبلاً، وحتى بعد اخماد الحروب الكاثوليكية البروتستانتية، لم يزل أثر الطائفية والتفضيل الديني قائماً بينهم، فكانت الدول ذات الأكثرية الطائفية تظلم وتهين طائفة الأقلية، ولم يعيشوا في تسامح وصفح وتكافل، بل كانوا كالفرائس في أعين بعضهم.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي، انبعثت موجة جديدة من انعدام التسامح المعروفة بالحروب الصليبية، التي لم تتقن إلا سفك الدماء هباءً وتحطيم الديار، واستمرارها لحوالي قرنين من الزمان، وكذلك محاكم التفتيش الإسبانية التي سمتها الكنيسة الكاثوليكية بمكافحة الهرطقة، فكان كل من لا يعتنق الكاثوليكية يتهم بالهرطقة والتجديف، وقد أبدعت الكنيسة في أساليب تعذيب المتهمين بالهرطقة، وقع ضحيتها العديد من الأبرياء الذين لا تهمة لهم سوا الاختلاف الديني والتنوع والفكري، وأصبحت هذه الحملات مثالاً خالداً على التعصب الوحشي في التاريخ المسيحي.

وقد نشأت محاكم تفتيش رومانية مغايرة للإسبانية، كان هدفها محاكمة المهرطقين المعتنقين للبروتستانتية والسحرة والمشعوذين، بتبرير فساد عقيدتهم الدينية الكاثوليكية، وهي مثال آخر على انعدام التسامح في التاريخ المسيحي الذي كان ممولاً ومؤَيداً من السلطات، وهناك أيضا عنف ضد اليهود استشرى في كل أنحاء القارة، مثل محاكم التفتيش البرتغالية، وانتهاءً بأكبر مثال لمعاداة

السامية في القرن العشرين مثل محرقة الهولوكوست وقيام النازيين بجرائمهم ضد اليهود، التي راح ضحيتها ملايين من المدنيين اليهود، وكان سببها الاعتقاد بتفوق العرق الآري على العرق السامي، فلم تخلو أوروبا حقاً من التعصب والتناحر، ودخلت مبادئ التسامح والتعايش وقبول الآخر بعد الثورة على السلطة الكهنوتية وعصر التنوير.

ونجد نقيض التسامح في الديانة اليهودية، فبالرغم من وجود دعوة للأخلاق الحسنة والمبادئ الحميدة في التوراة، إلا أن التلمود يحتكر تطبيق هذه النصوص الخُلُقية على اليهود فيما بينهم، ولا يُشمل المعاملة الحسنة غير اليهود، ويُصرح بكل وضوح بأن الأغيار من أصل نجس، وأباح أبشع الجرائم في حقهم، واعتبر قتل الأغيار مقربة للرب، ولم يدعو الى التسامح معهم أو التعايش بينهم، بل وحتى أمر ببناء جدران لفصل أحياء اليهود عنهم، لحفظ العرق الأسمى، فلا يمكن القول بأي شكل من الأشكال أن الديانة اليهودية تحتوي أو تحفز معتنقيها على التسامح مع الآخرين، أو التعايش الحسن معهم، وبالتأكيد تنهى عن مصاهرتهم ومناسبتهم.

المطلب الثاني: علمنة قيم التسامح

مع نهاية القرون الوسطى في أوروبا، وبعد ما شهدته من حروب طاحنة، أتى عصر التنوير وأدخل مفاهيم جديدة في المجتمع الأوروبي، مثل العلمانية والليبرالية، اللتان تحاولان تفادي أخطاء الماضي الأوروبي الظالم المتمثل في الحكم الكهنوتي الديني، ودعتا المجتمع الى تحكيم العقل وجعله معيار التوجيه الأخلاقي والحكم السياسي، ومما شهدته المنطقة سابقاً لهذه الأيدولوجيات هو انعدام التسامح الديني والعرقي ونبذ المختلف، وهذا ما أصلحته العلمانية في أوروبا، حيث دعت الى فصل الحكم الديني عن السياسة بعد أن تحكمت الكنيسة الكاثوليكية في أنظمة الحكم لقرون عديدة، ودعت لتطبيق قوانين وضعية بشرية ليست من مصادر دينية تحقق

العدل والمساواة بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والفكرية، كم أسست مبادئ علمانية وقوانين مدنية تحقق هذه العدالة الاجتماعية والحرية الشخصية.

وكان الأثر الأكبر لعلمنة قيمة التسامح هو التحول الديني والفكري في العصور الحديثة، فبعد تقليل دور الدين في الحياة اليومية، الذي ساهم في صراعات طويلة سابقة، عززت قيم التسامح بالحركات الفلسفية الحديثة، وإنشاء قوانين وسياسات حكم تنفي التفوق الديني لطائفة على أخرى، أو السمو العرقي، في الأقطار التي عانت منها، وظهرت حركات ليبرالية عديدة تدعو لحرية المعتقد وحماية حقوق الأقليات، وحتى تقوية المناهج الدراسية بإدراج قيم التسامح وتقبل الآخرين فيها، فلم تنعدم الجهود على كل المستويات لدعوة المجتمعات الى تقبل التوجه العقلاني العلماني البشري الجديد، فكانت كأنها حرب أو سباق لإثبات أن العلمانية أفضل بمراحل من العقائد التقليدية.

وفي القرن العشرين، وبالرغم من أنه قرن شهد اثنين من الحروب الأكثر دموية في التاريخ البشري، وصراعات فكرية وثقافية وحروب باردة، إلا أنه أثمر قيماً أخلاقية عالمية، فبعد إنشاء الأمم المتحدة، تعالت دعوات القوانين الوضعية لنشر قيم التسامح وقبول الآخر، وقد تطورت كثير من المجتمعات بعد إدخال قيم التسامح الوضعية اليها، وتم التركيز على الحريات الفردية وحقوق الإنسان، التي تضمن للفرد حرية المعتقد والفكر، وساهمت الاتفاقات الدولية والتشريعات الحكومية على تعزيز هذه القيم وثبوت تطبيقها، كما ظهرت العديد من الحركات الاجتماعية والمنظمات الخيرية التي تراقب تطبيق هذه الحقوق، وتحث الدول على إدراجها في المدارس والجامعات والإعلام ومقاصد الدولة، لتحقيق الرؤية العالمية لمجتمعات مليئة بالتسامح والتفاهم والتعايش والاستقرار الاجتماعي.

العلاقة بين تصورات الأديان الكتابية للتعارف ومضامينه في الوثائق الدولية حول الحوار الحضاري

تمهيد

التعارف أعلى درجة من التسامح، إذ أنه لا ينحصر على تقبل الآخر فقط، أو التعايش معه بتحامل، بل يتعدى الى قيمة أسمى وهي محاولة فهم اختلافاته من منظور التقبل والمساواة وليس باستعلاء أو استقباح، والتفكر بعقلانية تجاه هذه الاختلافات التي تمكننا من حصاد ثمار حكمة حضارات مختلفة، وعلوم متنوعة، ومنافع شتّى، والاستفادة من تجارب وخبرات كثيرة، واستنباط حلول لمشاكل محلية، واستغلال الثروات البشرية بأفضل وسيلة لترقية جودة الحياة، وتحقيق التضامن والتعاضد، إذا هو مفهوم مد جسور التواصل والحوار والانفتاح بين الإخوة الإنسانية، وتخطي رواسب القطيعة والصراعات التاريخية.

يقول (يعقوب بوركهارد – Jacob Burckhardt)[1]: "الاعتراف بين المختلفين يجد تجسيده في الانفتاح على المختلف والإقرار بحقه في الوجود والكينونة، دونما سعي لإظهار المنة أو التفوق أو الازدراء لوجوده"[2]، وهذا عكس ما نراه في الغرب من محاولات لطمس الأثر العربي الإسلامي في تطور العلوم والفلسفة أثناء قرون أوروبا المظلمة، وإسناد كل الاكتشافات والاختراعات الى

---

[1] كارل ياكوب كريستوف بوركهارت: هو مؤرخ سويسري في مجال الفن والثقافة وشخصية مؤثرة في علم التأريخ لكلا المجالين. اشتهر بكونه أحد كبار رواد التاريخ الثقافي.
(https://en.wikipedia.org/wiki/Jacob_Burckhardt)

[2] الحوار الحضاري، دراسة في النظام المعرفي القيمي القرآني، د. إدريس مقبول، ص 91.

الحضارة اليونانية الإغريقية والرومانية، وأيضاً انكار وتشويه الحضارات الأفريقية، والترويج لمقولة أن الرجل الأسود لم ينتج أو يقدم شيئاً للبشرية.

المبحث الأول: قيمة التعارف في الأديان الكتابية

أقرت الأديان الى حد ما بحق الحياة لجميع البشر، ثم رضيت أو تراضت أو تحاملت على تقبل الآخر، ولا يكفي الاعتراف بحق الوجود للآخر وتحمله فحسب، بل يجب السمو بالمبدأ والرقي بالفكر بالتعارف، فالآخر المختلف لديه أفكاره وتجاربه المختلفة، آتياً من حضارات منوعة وثقافات ثرية، يمكنه إثراء الحاضر وصقل المستقبل وتحسين المجتمع، كما حدث بالولايات المتحدة بعد فوزها في الحرب العالمية الثانية، حيث استقدمت علماء وعمال مهرة من الهند وباكستان في ولاياتها الغربية خاصة، ما ساعد على تطور ونمو المجتمع والمهارات وانتشار المشاريع الصغيرة[1].

والقارئ للتاريخ يجد أن الحضارات السابقة نادراً ما تسامحت وتقبلت الآخر، كان يتم استعباد كل من هو من ملة مختلفة، أو قتله، أو طرده، مثل ما حدث في زمن المغول وفراعنة مصر والامبراطورية الرومانية والعديد من الحضارات المندثرة، فالحديث عن التعارف في تلك الأوقات كان خيالاً وضرباً من ضروب التمني، ولم يكن ليتقبله أحد أو يعترف به.

على سبيل المثال، في اللاهوت والممارسات اليهودية، لا توجد قيمة معينة للتعارف، فكل المبادئ الاجتماعية الإيجابية، مثل الإحسان الى الجار والصدقة والسلوكيات الأخلاقية وغيرها من الأعمال الصالحة، تنحصر داخل المجتمع اليهودي، ولا تنطبق على الأغيار، ولم يجد الباحث أي مرجع من التوراة أو التلمود للحث على التعارف مع غير اليهود، لكن نجد العكس تماماً في التاريخ اليهودي، حيث يشجع اليهود فكرة القطيعة الاجتماعية، وعدم الاختلاط مع الأغيار أو مصاهرتهم،

---

[1] Journal of American Ethnic History, Robert Shaffer, Vol. 31, No. 2 (Winter 2012), pp. 68, JSTOR website (https://www.jstor.org/stable/10.5406/jamerethnhist.31.2.0068).

وإنشاء أحياء خاصة بهم، مثل: "حارة اليهود" في مصر، و"قاعة اليهود" أو "المسبتة" في اليمن، و"الملاح" في المغرب[1]، وثبتوا على الانعزالية من منطلق الاستعلاء والتفاخر بأنهم شعب الله المختار، ونرى في زمننا المعاصر تطور هذه الفكرة في بناء جدار في فلسطين المحتلة في الحدود المصرية واللبنانية والسورية والأردنية، وبالطبع داخل الأراضي الفلسطينية أيضاً، مما يدل على هيمنة عقلية الغيتو في العقيدة اليهودية.

وينبثق مبدأ الانعزالية، كما ذكرنا آنفاً، من عقيدة التميز والاصطفاء الإلهي، فتقول التوراة: "لأَنك أَنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"[2]، ويتكرر مثل هذه الآية في مواضع عديدة من التوراة، ومما جاء من تحريم المصاهرة مع الأغيار: "وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ."[3]، وأيضاً: "وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بْنَتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنتْهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ"[4]، فهذا ما يزيد الاستعلاء اشتعالاً، والانعزال مزيداً من القطيعة الاجتماعية، وما يصب الزيت في النار أكثر ما جاء في التلمود من استحقار للأغيار، والمقلق أن التوراة لم تعد العقيدة الأساسية لليهود، فقد جعل الحاخامات مرتبة التلمود أعلى من التوراة حتى سموها التوراة الشفهية، وبحسب لاهوتهم فقد منع نبيهم عزرا الزواج مع بقية البشر والعيش بانعزال عنهم[5]، وقد استرسل التلمود في مواضع كثيرة بمنع هذا الزواج.

---

[1] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (موقع الكتروني https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652295.).

[2] سفر التثنية 7: 6.

[3] سفر الخروج 34: 15.

[4] سفر التثنية 7: 3.

[5] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (موقع الكتروني https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652295.).

ولم تقتصر الانعزالية على المستوى الاجتماعي فحسب، بل تعدت الى الحواجز الفيزيائية الملموسة كبناء جدران وأسوار عالية حول أحياء اليهود لفصلهم، وانصهر هذا المفهوم في العقيدة ليصبح أساساً فيهاً، ويمكن استخلاص عدة أسباب من التوراة والتلمود لبناء هذه الحواجز.

أولها هو تحصين المدن لسهولة الدفاع عنها، وهذا كان العرف السائد قديماً في جميع الحضارات، كتدبير أمني تقتضيه حاجة الدفاع العسكري ضد الغزاة، فقد أتى في التوراة مثال على ذلك: "وَتَشَدَّدَ وَبَنَى كُلَّ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ وَأَعْلاَهُ إِلَى الأَبْرَاجِ، وَسُورًا آخَرَ خَارِجًا، وَحَصَّنَ الْقَلْعَةَ، مَدِينَةَ دَاوُدَ، وَعَمِلَ سِلاَحًا بِكِثْرَةٍ وَأَتْرَاسًا"[1]، والمذكور هنا هو الملك (يحزقياهو) عندما حصن القدس (أورشليم) لصد هجمات الأشوريين بقيادة ملكهم (سنحاريب)، فبناء جدران وأسوار لهذا الغرض من المفهوم منطقاً وعقلاً.

أما السبب الثاني لبنائها هو تقوية وتعضيد مُلك بني إسرائيل، فلم يقتصر بناء الأسوار على أوقات الحرب فقط، فمن أعمال ملك يهوذا (آسا بن أبيا) أنه حصن المدن في أوقات السلم أيضاً كما ذكر في التوراة: "وَقَالَ لِيَهُوذَا: «لِنَبْنِ هذِهِ الْمُدُنَ وَنُحَوِّطْهَا بِأَسْوَارٍ وَأَبْرَاجٍ وَأَبْوَابٍ وَعَوَارِضَ مَا دَامَتِ الأَرْضُ أَمَامَنَا، لأَنَّنَا قَدْ طَلَبْنَا الرَّبَّ إِلهَنَا. طَلَبْنَاهُ فَأَرَاحَنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ». فَبَنَوْا وَنَجَحُوا"[2]، وهذا نفس ما عمله ملك إسرائيل (عمري) في ذات الفترة، بجعل مدينة السامرة عاصمة مملكته، وقد حرص على محاكاة مدينة القدس (أورشليم)، وبناها على طريقة نبي الله سليمان –عليه السلام–

[1] سفر أخبار الأيام الثاني 32: 5.

[2] سفر أخبار الأيام الثاني 14: 7.

في بناءه للقدس، ويتضمن هذا البناء سور يحيط بالمدينة به أبواب وبروج مشيدة، وتم تعزيز هذه الجدران في وقت لاحق حتى بلغت أعلى نقطة فيه الأربع أمتار، وسمك بقدر مئة وستين سنتيمتراً[1].

ويتمثل السبب الثالث لبناء الأسوار في التوسع الاستراتيجي لرقعة المملكة اليهودية، ويرجع هذا التقليد لسليمان بن داوود –عليه السلام– عندما أراد توسيع ملكه، فقام بتحصين المدن كما جاء في النصوص: "وَبَنَى بَيْتَ حُورُونَ الْعُلْيَا وَبَيْتَ حُورُونَ السُّفْلَى، مُدُنًا حَصِينَةً بِأَسْوَارٍ وَأَبْوَابٍ وَعَوَارِضَ."[2]، فتكون المدن المحصنة منطلق جديد للجيوش ونقطة للتجمع والتخطيط، وحاكاه الملك (عُزِّيّاهو بن أَمَصْياهو) عندما بنى أبراجاً في القدس وحصنها، تقول التوراة: "وَبَنَى عُزِّيَّا أَبْرَاجًا فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الزَّاوِيَةِ وَعِنْدَ بَابِ الْوَادِي وَعِنْدَ الزَّاوِيَةِ وَحَصَّنَهَا"[3].

والسبب الرابع أن بناء الأسوار يعتبر مقربة الى الرب وشكل من أشكال طلب للتوبة، وهو بمنزلة الفريضة الدينية كما ورد في أوامر الرب لداوود –عليه السلام–: " أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ"[4]، وعمل بهذا الأمر الملك (مِنَسَّى بن حزقياهو) عندما انحرف عن الصراط المستقيم، فقام بتحصين القدس (أورشليم)، طارقاً أبواب التوبة والرجوع الى الرب، وتكفيراً عن ذنوبه، وصداً للأشوريين، فقد جاء في التوراة في سيرة (مِنَسَّى): " وَبَعْدَ ذلِكَ بَنَى سُورًا خَارِجَ مَدِينَةِ دَاوُدَ غَرْبًا..."[5].

---

[1] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (موقع الكتروني https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652295.).

[2] سفر أخبار الأيام الثاني 8: 5.

[3] سفر أخبار الأيام الثاني 26: 9.

[4] سفر المزامير 51: 18.

[5] سفر أخبار الأيام الثاني 33: 14.

والسبب الأخير لأهمية بناء الأسوار وموقعها المقدس في العقيدة اليهودية، أن الرب استخدمها رمزاً للأمان والخلاص، ورمزاً للعقاب القاسي على كثرة آثام بني إسرائيل، فذكرت التوراة عن الرمز الأول: " فِي أَرْضِ يَهُوذَا: لَنَا مَدِينَةٌ قَوِيَّةٌ. يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمَتْرَسَةً"[1]، وجاء رمز العقاب في: " وَتُحَاصِرُكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ حَتَّى تَهْبِطَ أَسْوَارُكَ الشَّامِخَةُ الْحَصِينَةُ الَّتِي أَنْتَ تَثِقُ بِهَا فِي كُلِّ أَرْضِكَ"[2]، وقد فطن أعداء اليهود لأهمية الجدران لديهم، فكانوا يهدمونها تأليماً لهم وتدنيساً لمقدساتهم، وذكرت التوراة في عدة مواضع قيام البابليون بهدم الأسوار عقاباً لعصيان اليهود لهم، وفي حروبهم ضدهم.

من التجارب والنصوص السابقة تبلورت عقلية الغيتو اليهودي لتحمل رمزية مادية ومعنوية، ومع أن أحياء اليهود بدأت بصورة اجبارية لهم فرضتها عليهم السلطة الكاثوليكية، إلا أنها تطورت لتصبح اختيارية من أصل العقيدة، حفاظاً على نقاء النسل السامي واستعلاء بحجة الاختيار الإلهي، ومما ساعد على انتشار هذه العقيدة رد فعل الصهيونية السياسية العلمانية لحركات التنوير العبرية (الهسكالاه – اليقظة[3])، التي دعت بضرورة تحرير واندماج اليهود مع غيرهم والتكيف الاجتماعي في محيطهم، تماشياً مع المد التنويري العالمي[4]، حيث انتشرت في أوروبا وهددت نقاء العرق اليهودي باختلاطهم مع الأوروبيين مهددة بذوبان اليهود مع الأغيار، فبعد فشل حركة (الهسكالاه) في مساعيها –كما سنذكر لاحقاً في هذا البحث–، قامت باستغلال عقيدة التفوق العرقي لحث اليهود على الانغلاق، يقول (ناحوم غولدمان) عن جدران اليهود: "لم يكن سجناً جماعياً لليهود

---

[1] سفر إشعياء 26: 1.

[2] سفر التثنية 28: 52.

[3] شبكة الألوكة، الهسكالاة: حركة اليهود الإصلاحية وتحولاتها الصهيونية، عبد القادر عقاب، (موقع الكتروني (https://www.alukah.net/culture/0/79762

[4] ويكيبيديا، هسكلة، (موقع الكتروني /https://ar.wikipedia.org/wiki).

فرضه الآخرون عليهم، وإنما كان سوراً دفاعياً داخلياً، حقيقياً ورمزياً في آنٍ واحد، شكّل حصناً شيّده اليهود لأنفسهم"[1]، ويؤكد أن جدران الغيتو نفسية في المقام الأول قبل أن تكون مادية، معبرة عن التميز العرقي والاختيار الإلهي.

وبالرغم من ذلك كان هنالك دعاة للتعارف مع الأغيار من اليهود التنويريين، مثل الشاعر (يهودا ليف جوردون) الذي قال: " كن يهودياً في بيتك وإنساناً خارجه " في أواخر قصيدته (استيقظ يا شعب!)، الذي حث اليهود على التعارف والاختلاط والاندماج مع الناس من حولهم وفي البيئات التي يعيشون بها بدلاً عن التقوقع الانغلاقي[2] والتنازل عن الخصوصيات اليهودية، ورد التلمود واستبداله بالعلوم الحديثة، ورفض التعصب والخرافات الدينية مواكبةً للتطور، فهي إذا ثورة عقل، كما حدثت مع المسيحية، دعت لاتخاذ العلم والأخلاق وسيلة للعيش بدلاً عن الدين، حتى أنها طالبت بإخضاع الدين لسلطان العقل، فبعد أن كان اليهود في مؤخرة الركب الحضاري، ومن سوء أوضاع ومعاملات، وتدني مستويات الثقافة، كان لابد من إنقاذ الشخصية اليهودي من هذا التخلف، وتحطيم أسوار الغيتو، واللحاق بعصر الثورة التنويرية، والانفتاح من أجل التطور، والتخلص من الحكم الكهنوتي[3]، فكما فصل المسيحيون التنويريون الدين عن الحياة العامة، طالبت (الهسكالاه) بجعل الدين في الحياة الخاصة فقط، والاندماج مع الآخر في الحياة العامة، فسميت هذه الحركة بالإصلاح الديني اليهودي.

---

[1] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (موقع الكتروني https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652295.).

[2] مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (موقع الكتروني https://www.palestine-studies.org/ar/node/1652295.).

[3] شبكة الألوكة، الهسكالاة: حركة اليهود الإصلاحية وتحولاتها الصهيونية، عبد القادر عقاب، (موقع الكتروني https://www.alukah.net/culture)

فعند قياس قيمة التعارف في الديانة اليهودية، لا نجد مرجعية دينية للحث عليه، وكما ذكرنا سابقاً نجد عكس ذلك تماماً، ولا يحتوي التاريخ اليهودي على انفتاح أو اندماج تجاه الأغيار إلا في حركة الإصلاح الديني التنويري في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، التي لم تنجح هي الأخرى، بسبب انتشارها محلياً في أوروبا، وتزايد العقيدة القومية الإثنية اليهودية، وانتهت بضلوع أسماء يهودية في عملية اغتيال قيصر روسيا سنة 1881م[1]، وتحولت بعد ذلك الى الصهيونية التي ترفض الفكر الإصلاحي الانفتاحي، ونادت بالانعزال الاجتماعي العرقي، ونشرت الفكر العنصري الانغلاقي، رافضة الاندماج مع المجتمعات المحيطة فرجعت بقيمة التعارف الى نقطة الصفر.

وعلى نقيض اليهودية تماماً، نجد التعارف في الإسلام واضحاً بليغاً في النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"[سورة الحجرات، الآية 13][2]، فلا وجود لاختيار إلهي أو تفوق عرقي، بُنيت العقيدة على سواسية البشر، لا تفضيل على جنس أو لون أو نسب أو حسب، وأردفت الآية بملحق هذا الاختلاف بالتعارف، لتثبت هذه القيمة بكل وضوح، وأتبعتها بـ: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[سورة الحجرات، الآية 13]، لتبين معيار التفضيل الإلهي وهو الوعي بوجود الله في كل الأوقات والخوف من عقابه، ولأن الدين الإسلامي للعالمين كافة، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"[سورة الأنبياء، الآية 107]، كان لابد من تضمين التعارف الذي يسهل عملية الدعوة الى الدين، ويفتح أبواب الألفة والوئام في المجتمعات، وينشر الوعي الأخلاقي بسواسية البشر، والتواضع بالتعلم من الأمم الأخرى

---

[1] شبكة الألوكة، الهسكالاة: حركة اليهود الإصلاحية وتحولاتها الصهيونية، عبد القادر عقاب، (موقع الكتروني (https://www.alukah.net/culture

[2] من حوار الحضارات الى حضارات الحوار، د. زهير سوكاج، طبعة ديسمبر 2018م، ص71.

والاستفادة مما لديها من علوم ومنافع، واشتملت النصوص الدينية، سواء القرآن أو السنة، على العديد من مرغبات التعارف، حتى صار أصلاً ثابتاً قيمياً لا يتجزأ عن الإسلام، ومقصداً موضوعياً في العقيدة، وركيزة أساسية في بناء الحضارة الإسلامية.

والقارئ لتاريخ المسلمين يجد التعارف واقعاً ملموساً في حياة العرب، في زمن الفتوحات الإسلامية، اختلط العرب مع كثير من الشعوب، مثل الفرس والهنود والروم والأقباط والأمازيغ (البربر)، وأخذوا منهم الحكم والعلوم، وقام العجم من مختلف البقاع، بعد دخولهم الإسلام، باكتشافات واختراعات أثْرت الحضارة الإسلامية ثقافةً وعمراناً وأدباً، فلم يجمد المسلمون عند مبدأ التسامح، بل أنشأوا سلوكاً واقعياً راقياً للتعارف، ومن أمثلة هذه السلوكيات، دور التجار في نشر الإسلام، فكان التاجر المسلم يسافر الى بقاع غير مسلمة حاملاً معه أخلاقه ومبادئه الحسنة، فيُعجب من يلاقيهم بتعاملاته وصدقه وأمانته فيدخلون في الإسلام، وهو حال انتشار الإسلام في بلاد جنوب شرق آسيا والسودان، وهذا تأكيد على تحقيق مبدأ التعارف عند المسلمين.

ومع دعوة الدين الإسلامي للتعارف والانفتاح على الشعوب الأخرى، حافظ المسلمون على هوياتهم الثقافية المختلفة التي لا تتعارض أو تقوض تعاليم دينهم، واندمجوا مع الآخر في مركب الحياة بتجاربه المختلفة، وأبرزوا فيه عقيدتهم وأخلاقهم، ولكل أمة اعتنقت الإسلام عاداتها وتقاليدها المختلفة، وأبقت كل الأمم على ما لا يتخالف مع الشريعة واكتسبت منها، بل وأثرت الشعوب المسلمة المختلفة على بعضها البعض مصاهرة ومثاقفة ومخالطة، ولكنها لم تذب في أشكال الحضارات المختلفة، فالتعارف لا يعني الذوبان والانصهار الكلي وطمس الهوية، إنما هو تشغيل للمجتمع بأحسن كفاءة مع الإبقاء على رواسخ الدين والإنسانية، فكان هذا هو الضابط الوحيد لهذا التعارف والشرط الذي لا يُخرج عنه، هدفه تحقيق مصالح العباد وتحسين حياتهم ومساعدتهم على أداء مهمتهم في تبليغ الرسالة، وهو الحفاظ على الدين ومنع تمييعه بحجة مسايرة الشعوب أو

الركب الحضاري، وهدف التعارف هو الحصول على ما عند الآخر منع علم ومبادلة المنفعة، والسعي على تسهيل حياة الطرفين وإثراءها، وتعزيز التضامن والحد من التفرقة، لتقليل الخلافات والمشاحنات.

وعلى عكس الديانتين اليهودية والإسلامية، فلم يجد الباحث أي نصوص تحث أتباع الديانة المسيحية على التعارف مع الشعوب الأخرى، فقد توقفت تعاليم المسيحية عند قيمة التسامح والمحبة ولم تتعدى للتعارف والاندماج، بل ونجد تناقضاً واضحاً في الإنجيل بين النصوص الداعية للتسامح وأفعال المسيح، وخلواً كبيراً من التسامح في التاريخ المسيحي كما تم إيضاحه سابقاً، يقول الدكتور جعفر الحكيم أن نصوص الأناجيل التي تدعو لمحبة الآخر لم تكن من تعاليم المسيحية وإنما من بقايا الفلسفة الكلبية (التشاؤمية) التي سبقت ولادة المسيح بن مريم بمئتي عام[1]، مثل نصيّ: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ"[إنجيل متى الإصحاح 5، الآية 44]، "فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ"[رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 12: 20][2]،

ففي التاريخ التطبيقي للمسيحية، نجد انتقادات في الحملات التبشيرية المسيحية في احترام ثقافات الآخرين والنظر إليهم باستعلاء، فكان الهدف هو نشر الدين واستعمار الشعوب[3]، ولم يكن انتشاراً للتعارف أو الاندماج، فلم يكن القبول موجوداً من الأصل، كذلك في الحملات الصليبية، التي نشأت بعقيدة التفوق المسيحي ونشر كلمة الرب وتحرير الأرض المقدسة من أتباع الشيطان[4]،

---

[1] الحوار المتمدن، حوارات في اللاهوت المسيحي 3 التعامل مع (الآخر) في النص المسيحي، د. جعفر الحكيم، (موقع الكتروني https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=535866).

[2] المرجع السابق.

[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بعثات تبشيرية مسيحية، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[4] الحوار المتمدن، حوارات في اللاهوت المسيحي 3 التعامل مع (الآخر) في النص المسيحي، د. جعفر الحكيم، (موقع الكتروني https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=535866).

وأيضاً الرحلات البحرية البرتغالية والاسبانية، التي اكتشفت الأمريكتين، معقبةً لها باقي الدول الأوروبية، لم يكن الهدف منها إلا تحقيق الرخاء لشعوبها على حساب الشعوب الأخرى، مختزلة رحلاتها لأسباب مادية، كانت سبباً في إبادات جماعية وسرقة للثروات، على نقيض مبدأ التعارف تماماً.

ولا نجد تطبيقاً للتعارف إلا بعد ظهور العلمانية والتنوير في القرنيّ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّين، ولم يكن تعارفاً يحقق السعادة والتضامن للطرفين، كان فقط لتسهيل الاستعمار ومعرفة نقاط هشاشة الشعوب، وتنفيذاً لسياسة "فرّق تسد"، كان أشهر رواد هذه الحملة الجاسوس "لورانس العرب"[1]، وحتى في فترة ما بعد الاستعمار ظل الخطاب الأوروبي لبقية الشعوب خطاب استعلاء وإملاء، منافياً لأسس مبادئ الحوار وهو الاعتراف بسواسية البشر، والرغبة في معرفة الآخر على حقيقته، لتحقيق التعاون والتضامن المجتمعي وتحسين الحياة[2].

فبالرغم من ادعاء اللاهوتيون المسيحيون بأن دينهم دين تسامح ورحمة ومحبة للآخر، إلا أننا نجد خلو التجربة المسيحية من مبدأ التعارف، الذي أدى الى الجهل بالآخر، وبدوره ولّد بدوره صراعات عديدة على مر التاريخ، فنشأ الصدام بدل الحوار، والتناكر بدل التعارف، والتخاصم بدل التعاون، والتناحر بدل التعايش.

---

[1] لورانس العرب: الكولونيل توماس إدوارد لورنس، عالم آثار وضابط جيش ودبلوماسي وكاتب بريطاني، اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية(1916–1918) وحملة سيناء وفلسطين (1915–1918) ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، توماس إدوارد لورنس، (موقع الكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/).

[2] حوار الحضارات تعارف وتثاقف، أ.د. عبد الملك بومنجل، طبعة 2019م، ص71.

المبحث الثاني: مبادئ قيم التعارف في الوثائق الدولية المؤسسة لحوار الحضارات

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بقنبلة نووية، وموت الملايين من الناس حول العالم، نشأت الأمم متحدة مطالبةً بوضع القوانين العالمية للعالم الجديد، تضمنت حفظ حق الحياة والتسامح مع الآخر، وغيرها من البنود، ومع انتشار قيمة التسامح في أنحاء الأرض أتت دعوة جديدة للتعارف بين الأمم جميعها، فنشأ مصطلح حوار الحضارات الذي يهدف لخلق التواصل الملموس بين الشعوب والحد من الصدامات، بفهم الآخر فهماً موضوعياً لا لبس فيه، فمن أجل فهم مبدأ التعارف في المواثيق الدولية لابد من المرور بمصطلح حوار الحضارات، الذي يعتبر وسيلة، والتعارف غايته.

والجدير بالذكر أن مفهوم حوار الحضارات بصورته الحالية كان بالأصل ردة فعل لنظرية "صراع الحضارات" لـ(هنتغنتون) سنة 1993م، وبالرغم من وجود محاولات عربية وغربية سابقة لتشغيل هذا المصطلح، إلا أن العالم لم يبدي اهتماماً لهذا المفهوم إلا بعد صدور كتاب للفيلسوف (روجيه غراودي – Roger Garaudy) باسم "من أجل حوار الحضارات"[1]، والذي قال عنه زكي الميلاد: "أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات"[2]، وهنالك مؤلف ثالث كان له دور كبير في هذا الحقل وهو كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" للكاتب (فوكوياما).

المطلب الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

لم يتطرق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الى تضمين قيمة التعارف نصاً فيه، كما وجد الباحث، وأول ذكر لهذا المصطلح كان من الكاتب السويسري (دينيس دي روجمونت – Denis

[1] من حوار الحضارات الى حضارات الحوار، د. زهير سوكاج، طبعة ديسمبر 2018م، ص20.

[2] مجلة تحالف الحضارات، في مفهوم "حضارات الحوار": سبع أطروحات، د. زهير سوكاج، طبعة 2022م، ص63.

de Rougemont) عام 1961م كرد على العولمة وتأثيرها[1]، لهذا لم يوجد في عام 1948م، ولكن هناك ست مواد مهدت لهذا المبدأ ضمنياً:

المادة الأولى – المساواة والكرامة: التي تؤكد على سواسية البشر وحفظ كرامتهم بغض النظر عن اختلافاتهم، فالتعارف يساهم بشكل كبير في فهم الآخرين والحد من الصدامات وتقدير التنوع الإثني البشري، فالتعارف يعزز فهمًا أعمق للمساواة والكرامة.

المادة الثانية – عدم التمييز: تحظر هذه المادة أي تمييز بين الناس بناءً على اختلاف العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الثروة أو الأصل الوطني. التعارف يساهم في تقوية هذا المبدأ من خلال إنشاء التفاهم والاحترام بين الثقافات المتنوعة والطوائف المختلفة.

المادتين الثامنة عشر والتاسعة عشر – حقوق الحرية الدينية والفكرية: مع اختلاف الأفراد في جميع النواحي، كان لابد من تضمين مادة لحماية الحريات الفكرية والعقائدية، ولأن الكثير من الحروب قد نشأت بسبب الخوف من المختلفين، التعارف يساهم في تعزيز هذه الحريات من خلال حرية مشاركة الأفكار والآراء والتصريح بها، وتبادل المفاهيم بين الأفراد من خلفيات دينية وثقافية مختلفة.

المادة الرابعة عشر – حق اللجوء الدولي: تحدد هذه المادة حق اللجوء والحماية من التمييز أو الاضطهاد لأي سبب، إلا الجرائم غير السياسية أو أعمال تناقض مقاصد الأمم، التعارف هنا يلعب دورًا مهماً في تقديم الدعم والتضامن للأشخاص الذين يحتاجون إلى اللجوء أو الحماية.

المادة التاسعة والعشرون – المسؤوليات الفردية والاجتماعية: تشدد هذه المادة على الحقوق والحريات التي ينبغي أن تكون مرتبطة بالمسؤوليات الفردية والاجتماعية، فلكل فرد واجبات وحقوق

[1] من حوار الحضارات الى حضارات الحوار، د. زهير سوكاج، طبعة ديسمبر 2018م، ص21.

تجاه المجتمع، والتعارف يساعد الفرد على أداء واجباته بمعرفته للآخر، وهذه المعرفة تزيد المشاركة الاجتماعية والتفاعل البناء بين الأفراد في مجتمعاتهم[1].

من هذه المواد الست يمكننا لمح قيمة التعارف كعامل يساعد في تحقيق المبادئ السامية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

المطلب الثاني: مقترح الرئيس محمد خاتمي (الحوار بين الحضارات) في سبتمبر سنة 1998م:[2]

تشجع مبادرة الرئيس محمد خاتمي على تعزيز وتطبيق حوار للحضارات تطبيقاً عملياً، التي كانت رداً لنظرية صراع الحضارات، التي تركز على الصراعات التاريخية بين الحضارات متجاهلة تماماً تاريخها في الحوار، ويقول خاتمي في مبادرته: "بمجرد أن يتغلب الناس على نقص المعرفة والأحكام المسبقة عن الآخرين، فسوف تختفي الآراء المتحيزة والقوالب النمطية، ولن يعد الآخر يشكل تهديداً، بل فرصة تقدم وجهات نظر مختلفة للعالم"[3]، مفسراً أن التحدي الحقيقي الذي يجب منعه والوقوف بوجهه هو نبوءة صراع الحضارات، وذكر أن الحوار يمكن أن يؤدي الى تحقيق أهداف ومصالح مشتركة تساهم في رفع الإنتاجية الفكرية والاقتصادية، وأن التعددية الحضارية أصبحت أمراً لا مفر منه، ولكي لا تنتهي المخالطة الثقافية بحروب وصراعات وشيطنة الآخر، لابد من التعارف عن طريق الحوار بدون نظرة فوقيّة/دونيّة، بل يجب اعتبار كل الحضارات على مستوى واحد لتحقيق الحوار الناجح، وقد عدد الرئيس محمد خاتمي نقاط مهمة:

---

[1] الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، (موقع الكتروني https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights).

[2] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013

[3] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013, p3.

1. التنوع فضيلة عالمية، وشعوب العالم متحدة بمصيرها المشترك أكثر بكثير من تفرقها بهوياتها المنفصلة، إن حوار الحضارات، داخل الحضارات والثقافات والمجموعات وفيما بينها، يمكن أن ينتصر على الخلاف ويساعد على تحقيق السلام والرخاء المستدامين.
2. ينبغي الاحتفاء بتنوع الثقافات الإنسانية، ويساعد الحوار الثقافي على زرع بذور السلام على أساس القبول العالمي ومراعاة حقوق الإنسان الأساسية، ويتيح الحوار فرصة لاستكشاف الموروثات السابقة للثقافات المختلفة والتفكير في التعرف على ثقافات الآخرين في المستقبل.
3. يجب أن يمكّن حوار الحضارات الحكومات من تحقيق الأهداف العليا المتمثلة في السلام والتسامح بين الأمم وداخل الأمم، ويجب نقل فكرة التسامح والاحتفاء بالتنوع إلى الأجيال القادمة.
4. يعد الحوار مفهوماً مفيداً لتعريف الناس من مختلف الثقافات والحضارات بفوائد التعددية الثقافية والتبادل الثقافي، ومن الضروري تعزيز الحوار باعتباره أسلوب السلوك المقبول لتسوية النزاعات والخلافات.
5. توجد حضارة عالمية واحدة تقوم على قيم مشتركة للتسامح والحرية تحددها تسامحها مع المعارضة، واحتفالها بالتنوع الثقافي، وإصرارها على حقوق الإنسان العالمية الأساسية، وإيمانها بحق الناس في كل مكان في أن يكون لهم رأي في كيف يُحكمون وكيف يريدون أن يحكموا أنفسهم.
6. إن الحضارات والثقافات تتغير وتنمو وتتطور وتتكيف إلى الأبد مع تغير الزمن، إن التكامل والهجرة والعولمة تعمل على التقريب بين مختلف الأجناس والثقافات والأعراق، إن العولمة لا تعزز التماثل ولكن ينبغي للمجتمع العالمي أن يستفيد من العولمة لتعزيز الحوار

بين الثقافات والمجتمعات والمعتقدات من أجل معالجة الأسباب الجذرية للصراعات، إن التنوع الغني لحضارات العالم يمكن، بل ينبغي، أن يُستغل من أجل الوئام والسلام العالميين، وليس من أجل الصدام والصراع، ومن المهم أن تسلط الحكومات الضوء على فوائد التعددية الثقافية وإثراء الحضارات من خلال حوار الحضارات.

7. إن التفاعل المتزايد بين الناس هو نتيجة للحركات المتزايدة عبر الحدود، فضلا عن النقل المذهل للأفكار، لكن المجتمعات والثقافات ليست ولا ينبغي لها أن تكون كيانات معزولة، ويجب على الحكومات اليوم أن تصمد أمام اختبار العصر الحديث، حيث يؤدي التكامل والهجرة والعولمة إلى جعل الأعراق والثقافات والإثنيات المختلفة في اتصال أوثق مع بعضها البعض، ومن المهم أن نتصور عالما أكثر ترابطا وتقدما من الناحية التكنولوجية من الحاضر حيث تتم عولمة كل جانب من جوانب التبادل البشري سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ولذلك، يتعين على كافة الحكومات أن تعمل على تعزيز القيم المتقاربة المشتركة بين البشرية جمعاء.

8. تنبع العديد من الحروب من خوف الناس ممن يختلفون عنهم، ولذلك فإن هناك حاجة بديهية لتعلم كيفية إدارة التنوع بشكل أفضل، وفي هذا السياق، ينبغي استخدام التنوع كأحد الأصول، إن استخدام التنوع كتهديد هو بذرة الحرب، فقط من خلال الحوار حول مجموعة واسعة من القضايا – تأثير العولمة والإنترنت؛ مفهوم صراع الحضارات؛ الحاجة إلى الحوار داخل الأمم وكذلك بين الأمم؛ الأهداف العملية للحوار – هل يمكن التغلب على هذه المخاوف وإنهاء المواجهة والعنف؟[1]

[1] Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013, p (12-13)

المطلب الثالث: مقترح رئيس الحكومة الإسبانية (تحالف الحضارات) في سبتمبر 2004م[1].

اقترحت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 2004م، مبادرة توطيد تحالف الحضارات بهدف الاندماج مع الثقافات المتنوعة وهدم حواجز عدم التفاهم، وقال رئيس حكومة اسبانيا أنه يشعر بارتياح بعد أن تم اعتماد هذه المبادرة من قبل الأمم المتحدة، التي روجت لها اسبانيا وتركيا، وتسعون دولة أخرى من مجموعة الأصدقاء، وقال أن السلام لن يكون ممكناً إلا بعد رؤية الحوار والتفاهم على أرض الواقع، والوقوف على قيم مشتركة تقوم على الاحترام والتسامح ودحر العصبية والأصولية، وذكر أن بلاده ستواصل الدفاع عن هذا المبدأ في مختلف الحالات، لأن هذه هي الطريقة الأفضل لتحقيق رغبات مواطنيّ بلاده، وأنها أيضاً الطريقة التي تتحمل بها اسبانيا مسؤوليتها تحت نظام دولي عادل[2].

المطلب الرابع: دراسة أدبيات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان[3] ووثيقة الأخوة الإنسانية[4]:

دعا ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الديانات الى التحلي بأسمى القيم الإنسانية، ونبذ التطرف والإرهاب والعنصرية، وشدد على وجود تشريعات تدين إشاعة الأخبار الكاذبة والمضللة التي تؤدي لصب الزيت على نار العنف والصراعات، وعدد الملتقى العديد من الخطوات التي تضمن التعارف لإزالة الخوف والتوجس من الآخر، ولزيادة الرصيد الحضاري لإثراء المجتمعات وتعزيز التطور والتقدم.

---

[1] Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.

[2] Speech of the President of the Government of Spain during the general debate of the 63rd period of sessions of the General Assembly of the United Nations, New York, 25 September 2008, p (2-3).

[3] القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.

[4] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة.

رداً على نظرية صدام الحضارات، دعا الملتقى الى حوار فعال بين الحضارات، لترشيد الخلافات وحل المخاوف والصور النمطية الخاطئة، وتصحيح الأحكام المسبقة، ولتعزيز التفاهم والثقة والتعاون بين الجميع، وذكر الملتقى بأن تجنب صراع الحضارات يتطلب نموذجاً فعالاً كتحالف الحضارات، الذي يحارب سياسات التمييز والتحيز والإقصاء، ولتحالف الحضارات لابد من الحوار، بمنهجيته الصحيحة القائمة على سواسية البشر دون استعلاء طرف على آخر، ومد جسور التلاقح وطرد التطرف والعنصرية، وتجاوز عداوات التاريخ القديمة.

وأوصى الملتقى بضرورة وجود إرادة صادقة وفاعلة للتحالف الحضاري، مع وضع القيم المشتركة التي يشترك بها الجميع كحجر أساس لهذا البناء الحضاري. وأخيراً، لنشر القيم المشتركة أطلقت منتدى عالمي باسم (منتدى الدبلوماسية الدينية لبناء الجسور)، يهدف لنشر التوعية بمركزية الأديان وتقريب المسافة بين مختلف أتباعها، وتعزيز تحالف الحضارات بأكثر من الحوار.

وفي وثيقة الأخوة الإنسانية طالب شيخ الأزهر والبابا فرانسيس جميع المسؤولين العمل الجدي وعدم الاكتفاء بالتمني على تحقيق الحوار الجدّي الفعّال بين جميع البلدان من أجل تحويل الصراعات العدائية والقتالية السابقة الى لقاءات حوار أخوية لتحسين مقومات العيش وتحقيق السلام[1].

المبحث الثالث: استنتاجات حول حوارات قيم التعارف بين المرجعيات الدينية ومساعي علمنة القيم

التعارف قيمة إنسانية عظيمة، يمكن بلوغها بالتواصل والتحاور والتثاقف، وتعبر عن رقي وإنسانية المجتمعات التي تسعى اليها، وترفع مستوى سعادة وأمن واطمئنان العناصر المختلفة في

[1] وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة، ص3.

هذه المجتمعات، ويقي التعارف الناس من الصدامات والصراعات التي قد تنشأ من سوء فهم أو الخوف والتوجس من الآخر، فهو حارس المجتمعات الغنية بتنوعها الثقافي والفكري والإثني.

المطلب الأول: استنتاجات قيم التعارف في المرجعيات الدينية

في الإسلام، آخذين العصر الذهبي للحضارة الإسلامية كموضع للنقد، تشبع بقيم التعارف بأسمى درجاته وأرقى أمثلته، فالحضارة الإسلامية نتاج مزج واندماج بين جميع الشعوب التي اعتنقت الإسلام، وتلاحم ثقافات وحضارات وعلوم عديدة، دون ذوبان هوياتها، وضياع خصائصها، أدى ذلك الى تكوين أحد أضخم حضارات العالم التي طبقت المبادئ الأخلاقية ودعت اليها، وكانت منارة للعالم الحديث، ورحماً تطورت في الحضارة الغربية[1]، كل هذا استجابةً للنداء الرباني في القرآن الكريم: "لِتَعَارَفُوا"[سورة الحجرات، الآية 13] تأكيداً على الأخوة البشرية وتفوق الناس بمعيار واحد وهو التقوى.

فلا تناقض ولا تقاطع لقيم التعارف في الإسلام، ولا حتى في تطبيق المسلمين لمعاملاتهم وتاريخهم وحياتهم اليومية، فلم يحتقر المسلمون الآخرين أو يقللوا من شأنهم لدرجة التعالي على علومهم وحكمهم وتجاربهم، إذا كانوا فعلوا فلن تكون علوم مثل الطب والفلك والكيمياء والرياضيات موجودة في هذا الزمان، فاحتقار غير المسلمين ليس من أخلاقيات الإسلام، ولم ينعدم التعارف من رصيد التجار المسلمين، الذي أبحروا الى أقاصي الأرض وتعرفوا وتعارفوا.

وبالجهة المقابلة، نجد أن الفرق شاسع بين النصوص المسيحية والتاريخ التطبيقي لها، ولا نكاد نجد آية تحث المسيحيين على التعارف مع الآخرين، بل نجد آية في الكتاب المقدس على

[1] حوار وشراكة الحضارات: الأبعاد بين الأديان والثقافات، بحث علمي – مجموع المؤلفين، ترجمة: ريما ماجد علاء الدين، طبعة 2015م، ص103-105.

لسان المسيح تقول: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"[1]، فهذه دعوة حصرية لبني إسرائيل، ولم تكن لتنتشر لغير اليهود، فهي إذا ليست رسالة عالمية، وهذا عكس التعارف الذي لابد منه لنشر الدين، كان الآية السابقة رداً للمرأة الكنعانية التي أتت الى المسيح طالبةً شفاء ابنتها، وأعقب المسيح عليها: "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَب"[2]، فهذا رد مثير للجدل، بتشبيه أمة كاملة –الكنعانيّون– بالكلاب، والنظرة الدونية لشعب ما تنفي أسس الحوار معهم وتهدم أركان التواصل، فلا يمكن التعارف بدون حوار، ولا يمكن الحوار بدون الشعور بسواسية البشر، وكانت نظرة الاستعلاء هذه حاضرة حضوراً جليًّا في التاريخ المسيحيّ.

فلم يحاول الكاثوليكيون حتى تقبل البروتستانتيون ناهيك عن الحوار معهم، بل انخرطوا في حروب عديدة لأزمنة مديدة، حتى وافقوا على وقف القتال والتحامل على بعضهم البعض، ولم تنتشر الامبراطوريات والممالك المسيحية الى أطراف المعمورة الا للاستعمار أو الاستيطان اللذان كانا على حساب الشعوب المحلية، ولم تنفتح أبواب الحوار للتعارف ولم تتجلّى مظاهره، وكان التفوق الأوروبي سيد الموقف.

ولليهودية بعد آخر وهو الانعزال، وهي ديانة إثنية، وللحفاظ على نقاء عرقها دعت للانعزال والقطيعة مع الأغيار، فالتاريخ اليهودي مليء بعقائد سمو العرق والتفوق على باقي البشر، وكذلك عقيدة التفضيل الإلهي التي ينبثق منها ذاك الانعزال، فلا عجب من انعدام التعارف في المجتمعات والتجارب اليهودية التاريخية، بدءاً بالأحياء اليهودية المنعزلة (الغيتو اليهودي)، وبناء الأسوار

---

[1] إنجيل متى 15: 24.

[2] إنجيل متى 15: 26.

والجدران، وانتهاءً بما نراه اليوم في ظل دولة الاحتلال الإسرائيلي، التي تقوم بالتطهير العرقي لأرض فلسطين شبراً فشبراً، فلا اندماج ولا تواصل ولا تعارف يقبله اليهود إلا بين بعضهم البعض.

المطلب الثاني: علمنة قيم التعارف

العلمنة هي مزاحمة الدين في كل المجالات، وتسعى لاختزال الدين في دور العبادة فقط، ومن أهم مطالبها فصل الدين عن الدولة، وإبعاد العقيدة عن السياسة، فتؤمن العلمانية بمركزية الإنسان في الكون، وأنه قادر على إنشاء القيم والأخلاق بدون نصوص دينية أو مرجعية لاهوتية، واختزال الدين على الحياة الشخصية فقط[1].

وهناك الكثير من العوامل التي سهلت لعلمنة القيم، فبعد الثورة الصناعية والاكتشافات العلمية التي حولت تفكير الناس الى العلم والمعرفة والأدلة العقلانية، والتحولات الاجتماعية، والتغيرات السياسية والقانونية، والثورة الثقافية، في العصر الحديث، تحجج العلمانيون أكثر على قدرة الإنسان على إيجاد بديل للدين، وصنعت رأياً بأن هناك ما هو أهم من الإيمان، وهكذا تزاحم، بل تبعد العلمانية الدين عن القيم الثابتة، وتستبدل مصادر القيم الدينية بمصادر بشرية.

ساهمت العلمانية في أوروبا المسيحية على نشر قيم التعارف بعد أن ساد التعصب والفوقية فيها، وأدخلت مفاهيم الحرية الشخصية والتعددية الثقافية والمساواة والتفكير العقلاني، حيث تشجع العلمانية على التعايش مع الثقافات المختلفة، وتعطي الحرية الفردية إمكانية التعرف على الجميع بعد وضع قدم المساواة، وتنبذ التعصب الديني الذي كان سائداً في القرون الوسطى في أوروبا، وتحفز العلمانية معتنقيها على وضع الاختلافات الدينية جانباً، والتفكير بمنطق عقلاني بشري.

---

[1] حوار وشراكة الحضارات: الأبعاد بين الأديان والثقافات، بحث علمي – مجموع المؤلفين، ترجمة: ريما ماجد علاء الدين، طبعة 2015م، ص187.

ولأن الإسلام يمتلك قيم التعارف في نصوصه الدينية، كما في سورة الحجرات، كان لابد للعلمانية أن توفر بديلاً بشرياً لتلك النصوص، وكان هذا هدف الحركات العلمانية التي سعت لتحرير الإنسان من السيطرة الدينية، وهكذا بعد كل التغيرات الاجتماعية والسياسية والأمنية بعد حقبة الاستعمار والحربين العالميتين، أُنتجت مبادئ حوار الحضارات في الأمم المتحدة التي تسعى لتحقيق التعارف والاحتكام بالعقل كمعيار أساسي وبديلاً عن الدين.

بدأت مبادرة الأمم المتحدة لحوار الحضارات بعد الأحداث المأساوية في سبتمبر سنة 2001م، تتضمن تعريفات ومفاهيم وأهداف لحوار الحضارات وكيفية قيامه، حيث تعرف الأمم المتحدة حوار الحضارات بأنه: "عملية تجري بين الحضارات وداخل الحضارة الواحدة، وتقوم على الادماج وعلى الرغبة الجماعية في التعلم وكشف المسلمات ودراستها، وتوضيح المعاني المشتركة والقيم الأساسية، وتكامل وجهات النظر المتعددة من خلال الحوار"[1].

فمن خلال العولمة الحديثة تمت علمنة الأصوات داخل الأمم المتحدة، ودعت العلمانية العالمية الى إيجاد المبادئ والأخلاقيات التي يمكن استنتاجها بدون الأخذ من النصوص الدينية، فقامت هذه الوثيقة بتأكيد مبدأ كرامة البشر والمساواة بينهم، والوفاء بالالتزامات التي نُصت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واحترام قيم العدالة والقانون الدولي، واعترفت بتنوع الجنس البشري واعتبرته إثراءً ثقافياً لصالح تقدم البشرية، واعطت أبناء الثقافات المختلفة الحق في المحافظة على إرثهم الحضاري والثقافي، والتزمت بإدماج المختلفين والسعي لزيادة التفاهم بينهم، مضاعفة مشاركة مختلف الشعوب والأمم في صنع القرار[2].

---

[1] من حوار الحضارات الى حضارات الحوار: رؤية تقويمية، د. زهير سوكاج، طبعة ديسمبر 2018م، ص23.

[2] المرجع السابق، ص24.

ومن أهداف حوار الحضارات لأمم المتحدة: تشجيع الدمج والعدل والمساواة والتسامح في الحياة اليومية، وتعزيز التفاهم بين المختلفين واحترامهم لاختلافات الآخر، والاستفادة مما تزخر به باقي الحضارات، وإثراء العلم وتطويره بالمقابل، والتعرف على أوجه التشابه بين الحضارات والترويج للقواسم المشتركة، حماية حقوق الإنسان والحريات الفردية، وتعزيز المعايير الأخلاقية، واحترام التراث الثقافي لجميع الشعوب.

الخاتمة

تطرق البحث لدراسة قيم حق الحياة والتسامح والتعارف في الديانات السماوية من مصادرها التشريعية، وقارن البحث بين رسوخ كل قيمة في النصوص الدينية. كما تطرق أيضاً لدراسة تلك القيم في الوثائق الدولية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، ومبادرة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي 1998م، ومقترح رئيس الحكومة الإسبانية 2004م، ومخرجات ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان 2022م، ووثيقة الأخوة الإنسانية 2019م، من حيث تأَصّل القيمة ومحاولة علمنتها. وقارن البحث بين تطبيق هذه القيم في الواقع الديني سواء في الماضي أو الحاضر، ليستخلص مدى احترام أتباع الديانات للقيم المذكورة، كما قارن بين وجود تلك القيم في المواثيق الدولية وجدّية الدفاع عنها في الساحة العالمية.

تتمثل أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة في الآتي:

- الإسلام هو الدين الوحيد الذي احتوى جميع القيم (حق الحياة والتسامح والتعارف).
- المسيحية تقر بحق الحياة في حالات السلم فقط، كما تنزعه لبعض العقوبات القاسية مثل لعن الوالدين.
- اليهودية هي الأكثر شرهاً للدماء، حيث أنها لا تقر بحق الحياة للأغيار إطلاقاً، بل تعتبر قتلهم تقرباً الى الله.
- الإسلام أعدل الأديان، حيث منح حق الحياة لكل البشر بدون تفريق بين مسلم أو كافر، في السلم أو في الحرب، كما أنه الدين الوحيد الذي شرع آداباً وضوابط أخلاقية للحروب نجد أثرها في التطبيق العملي للتاريخ الإسلامي.

- نجد تشابهاً بين الإسلام والمسيحية في قيمة التسامح، فكلاهما يؤيدان قبول الآخر ويحثان على العفو والصفح.
- التاريخ الإسلامي مليء بأمثلة التسامح بين الأعراق والأديان والثقافات المختلفة.
- تاريخ المسيحية مليء بانعدام التسامح ومجازر بحق المختلفين، ونجد تناقضاً في مفهوم التسامح في الكتاب المقدس خصوصاً في العهد القديم، ونقرأ احتقار المسيح للمرأة الكنعانية وتشبيهها بالكلاب.
- اليهودية التي لا تؤمن بالتسامح مع الأغيار ولا تدعو لحسن المعاشرة والمعاملة معهم، كما نلاحظ في أحداث زماننا تعامل الاحتلال الإسرائيلي مع الفلسطينيين.
- قيمة التعارف فقد انفرد بها الإسلام وحده، وتوقفت المسيحية عند قيمة مشوهة للتسامح.
- وتاريخ المسلمين محفول باختلاط واندماج الأجناس والثقافات.
- اليهودية تؤمن أن شعب الله المختار لا يكون له تلويث دمائه مع الأغيار، فنجد أسوار اليهود قد علت لتمنع التمازج والتعارف.
- تؤمن الوثائق الدولية بالقيم الثلاث وتدعو لها، فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان يؤكد حق الحياة لكل الناس باختلافهم، وأكدت على هذه القيمة بقية المواثيق.
- دعا كل من الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي ورئيس الحكومة الإسبانية (خوسيه ثاباتيرو) الى نبذ الكراهية محاربة الإرهاب والابتعاد عن الصور النمطية للشعوب، وقدم خاتمي دعوة عالمية للحوار والتعرف على الشعوب من ممثلين رسميين لتصحيح الأفكار المضللة، وتقريب وجهات النظر للوصول لقيم التسامح.
- نادت وثيقة الأخوة الإنسانية الى حفظ النفس وأكدت على تحريم ازهاقها، وأن خالقها هو من يتصرف في تحديد مصيرها من خلاص أو هلاك، وطالبت الوثيقة أيضاً بنشر ثقافة

التعايش والسلام، كما دعت كل المسؤولين العمل على تحقيق الحوار الفعال وعدم الاكتفاء بالتمني، لحفظ الدماء البريئة، ورحبت بإعادة اكتشاف قيمة السلام الإلهي أساس العدل بين الأخوة.

- وأخيراً ملتقى القيم المشتركة لأتباع الديانات، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي، أكد على حق الحياة ودعا للتسامح ونبذ التعصب، ورمى بمسؤولية الإعلام النظيف على الحكومات ومراقبة الخطاب المعتدل، ووصى على أن تنوع البشر واختلافهم أمر محتوم لابد من تقبله وإثراءه.

وتوصي الباحثة بالآتي:

- اقتراح عمل ببحوث تتضمن قيم مختلفة ودراستها بتعمق، خصوصاً القيم التي تؤثر على تعايش الناس السلمي سواءً بالسلب أو الإيجاب.
- تفعيل خطاب التعايش السلمي والحوار الفعال من المؤسسات الدينية والسلطات الحكومية، لرفع التوجس من الآخر المختلف وزيادة تقبل الاختلاف.
- تفعيل حوار الحضارات بالصورة الصحيحة، وإيجاد الشجاعة لمناقشة الاختلافات بين الشعوب وعدم الاكتفاء بأوجه الشبه فقط.
- حماية المواثيق الدولية واستحداث العقوبات على مخالفيها، حتى لا تكون مجرد حبر على ورق.
- تنشئة الأجيال الجديدة منذ المراحل الدراسية المتقدمة على احترام الآخر والتعايش السلمي.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (الإنجيل)، المكتبة القبطية الأرثوذكسية.
- الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2014م.
- القيم المشتركة لأتباع الديانات، رابطة العالم الإسلامي، الرياض– المملكة العربية السعودية، 2022م.
- وثيقة الأخوة الإنسانية: قراءة تفسيرية، يوسف عودة.
- تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟، طه عبد الرحمن، الطبعة الأولى 2001م.
- لماذا مقاييس عالمية للأخلاق، هانس كينج، ترجمة: ثابت عيد، العدد 1999، الطبعة الأولى 2015م.
- تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت.
- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت.
- دراسات نفسية في الشخصية العربية، جابر عبد الحميد وسليمان الخضري.
- فلسفة التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني.
- التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور).
- مبادئ القانون، عبد المنعم فرج الصدة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، طبعة1، 1973م.

- حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات العامة، ماهر صبري كاظم، مطبعة الكتاب، بغداد، ط2، 2010م.
- الإسلام وحقوق الإنسان، القطب محمد القطب طبلية، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1984م.
- المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، ساسي سالم الحاج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط3، 2004م.
- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين.
- مختار الصحاح، زين الدين الرازي.
- التسامح في الشريعة الإسلامية، د. عمر حبتور الدرعي، الطبعة الأولى 2020م.
- الإسلام وحقوق الإنسان، د. عبد الحسين شعبان، الطبعة الثانية، بيسان للنشر والتوزيع، 2014م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي.
- حوار الحضارات تعارف وتثاقف، أ.د. عبد الملك بومنجل، طبعة 2019م.
- الحق في الحياة: دراسة تحليلية مقارنة، د. سحر محمد نجيب جرجيس، مجلة الرافدين للحقوق، المجلد 17، عدد 61، 2019م.
- مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، د. فتحي جوهر فرمزي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، العدد (2/15)، المجلد الثامن، 2014م.
- نصر الله: الكنز المرصود في قواعد التلمود.
- شلبي، أحمد: مقارنة الأديان (اليهودية).

- يسوع المسيح، الاب بولس الياس.
- صحيح النسائي.
- الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية، السيد أحمد السيد فودة.
- الإجهاض في الفقه الإسلامي والطب المعاصر، نعمت عبد الهادي عيسى، رسالة ماجستير، جامعة وان يوزونجوييل، 2019م.
- كتاب قانون الإيمان للرسل: الديداكية – القمص تادرس يعقوب ملطي، 1975م.
- عظات مكتوبة لقداسة البابا شنودة الثالث – التاريخ: عظة الأربعاء 9 يونيو 2010 بالقاهرة، الحق.
- القيم الدينية السماوية ومحاولة تضمينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. محمد بودبان، مجلة (Route Educational & Social Science Journal, Volume 6(4), March 2019).
- المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة، كاميليا حلمي محمد، الطبعة الأولى 2020م.
- التسامح في الأديان، أ.د. خضير عباس أحمد النداوي، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2019م.
- الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية (المفهوم والموقف)، سوهيلة لغرس، مجلد 8، العدد 1، 2022م.
- كتاب معجم الفروق اللغوية، العسكري أبو هلال.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر).
- نظام العقوبات في الديانة اليهودية، لؤي عبد الحميد شنداخ.
- الحوار الحضاري، دراسة في النظام المعرفي القيمي القرآني، د. إدريس مقبول.

- من حوار الحضارات الى حضارات الحوار، د. زهير سوكاج، طبعة ديسمبر 2018م.
- حوار الحضارات تعارف وتثاقف، أ.د. عبد الملك بومنجل، طبعة 2019م.
- مجلة تحالف الحضارات، في مفهوم "حضارات الحوار": سبع أطروحات، د. زهير سوكاج، طبعة 2022م.
- حوار وشراكة الحضارات: الأبعاد بين الأديان والثقافات، بحث علمي – مجموع المؤلفين، ترجمة: ريما ماجد علاء الدين، طبعة 2015م.
- الحق القديم، نصر حامد أبو زيد وآخرون، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2000م.
- الحق في الحياة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي، عتاك يمينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، جامعة مولود معمري تيزي وزو، قسم الحقوق.
- المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية: دراسة مقارنة، سومية حجاج، دار الكتب العلمية – بيروت، 2017م، ط1.
- أثر النص المقدس في منظومة القيم، سعدون المشهداني، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع،2010م.
- القيم الحضارية: مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية، د. محمد بشير محمد البشير، مجلة دراسات دعوية – السودان، العدد 15، 2008م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م، ص20

المراجع باللغات الأجنبية

- THE UNIVERSAL DECLARATION OF HUMANRIGHTS, 45th anniversary 1948–1993 PREFACE BY FEDERICO MAYOR DIRECTOR–GENERAL OF UNESCO,

published in 1994 by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 7 Place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP.

- Parliament of Malaysia |Research Unit/HA: Dialogue of Civilizations, Mohammad Khatami, President, Islamic Republic of Iran, 2013.
- Statement by the president of the government of Spain, Mr. JOSE LUIS RODRIGUEZ ZAPATERO at the Fifty-Ninth session of the United Nations general assembly.
- Getting of the bus, By Rabbi Yitzchok Adlerstein, AUGUST 06, 2009.
- Speech of the President of the Government of Spain during the general debate of the 63rd period of sessions of the General Assembly of the United Nations, New York, 25 September 2008.

مراجع شبكة الانترنت

- الدرر السنية (https://dorar.net/).
- الأنبا تكلا هيمانوت، تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (https://st-takla.org/P-1_.html).
- المعاني (https://www.almaany.com/).
- المكتبة الشاملة (https://shamela.ws/).
- الجمهرة، الموسوعة الشاملة لمفردات المحتوى الإسلامي (https://islamic-content.com/).
- ملتقى الخطباء (https://khutabaa.com/ar).

- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، الجمعية العامة لأمم المتحدة، 18 كانون الاول/ديسمبر 1979م، مكتب المفوض السامي (https://www.ohchr.org/ar/instruments-mechanisms/instruments/convention-elimination-all-forms-discrimination-against-women).
- Getting of the bus, By Rabbi Yitzchok Adlerstein, AUGUST 06, 2009, (https://www.patheos.com/resources/additional-resources/2009/08/getting-off-the-bus).
- الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام/ محمد صالح المنجد (https://islamqa.info/ar).
- منظمة العفو الدولية (https://www.amnesty.org/ar/).
- مؤمنون بلا حدود: للدراسات والأبحاث، حفيظ اسليماني، قراءة في كتاب (مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية) للكاتب: رقية العلواني وآخرون (https://www.mominoun.com/).
- جامع الكتب الإسلامية، نظام العقوبات في الديانة اليهودية (https://ketabonline.com/ar/books/97961).
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة (https://en.wikipedia.org/wiki/Main_Page).
- منظمة اليونيسف، نص اتفاقية حقوق الطفل (https://www.unicef.org/ar).
- ONLINE LIBRARY OF LIBERTY (https://oll.libertyfund.org/).
- Antique bible, Wycliffe Bible: An Early English Translation (https://www.antiquebible.com/).
- الجزيرة (aljazeera.net).

- موسوعة الهولوكوست، العنصرية في الولايات المتحدة (https://encyclopedia.ushmm.org/ar).
- Journal of American Ethnic History, Robert Shaffer, Vol. 31, No. 2 (Winter 2012), (https://www.jstor.org/).
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عقلية الجدار اليهودية: الجذور الدينية والتطور التاريخي، (https://www.palestine-studies.org/ar).
- شبكة الألوكة (https://www.alukah.net/).
- الحوار المتمدن، حوارات في اللاهوت المسيحي 3، التعامل مع (الآخر) في النص المسيحي، د. جعفر الحكيم
(https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=535866).
- الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (https://www.un.org/ar).
- ندوة الوثائق الإنسانية الخالدة، جامعة محمد بن زايد للعلوم، 16نوفمبر2022م.